صالحي إسلام
لَنْ تُشْرِقَ الشمسُ أبَدًا
مجموعة قصصية
دار بسمة للنشر الإلكتروني

لن تشرق الشمس أبدا

اسم الكتاب: لَنْ تُشْرِقَ الشَّمسُ أَبَدًا
اسم الكاتبة: إسلام صالحي
نوع العمل: مجموعة قصصية
الرقم الدولي EBIN: 16-1-301-240207
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
داربسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)
Darbassma1@gmail.com
المملكة المغربية

كل الحقوق محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

لَنْ تُشْرِقَ الشّمس أبَدًا

مجموعة قصصية

إسلام صالح

دار البسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى تلك الأرواح التي قُتلتْ

إلى تلك الأنفس التي تألَّمتْ

إلى الأرواح البشريَّة التي أبيدتْ

إلى النُّفوس التي قاومتْ

إلى ضحايا التَّعذيب المُميت

إلى أناسٍ أبرياء اصطادهم الموت

مقدِّمة

سيأتي يومٌ لن تشرقَ فِيهِ شَمْسُكَ أبَدًا، فهلْ أنت مستعدٌّ للقائه؟

كلمة شكر

أشكر اللَّه عزَّ وجلَّ وأحمده حمدًا كثيرًا، فقد تمَّ بحمد اللَّه وشكره نشر عملي: لن تشرق الشَّمس أبَدًا بدار بسمة للنشر الإلكتروني.

أشكر أعضاء دار بسمة للنَّشر الإلكتروني كافَّةً.

أشكر أسرتي الصَّغيرة وكلَّ من دعمني من قريبٍ.

أشكر الكاتبة المصريَّة ماجدة بغدادي على مجهوداتها المبذولة، لتعليمي أساسيات الكتابة في ورشة الكتابة ضمن مجموعة لمسة إبداع على موقع التَّواصل الاجتماعي الفيسبوك، فكانت النَّتيجة كتابة قصَّتين في الامتحان النِّهائي تحت عنوان: عيد ميلادٍ مميَّزٍ، وقاتلي عصفور.

اللَّيلة المضيئة

القنابل تتطاير شراراتها عاليًا في السَّماء المظلمة لتنيرها، للحظةٍ؛ تظنُّها ألعابًا ناريَّةً مفرقعةً تَسُرُّ النَّاظرين، بَلْ تَسُرُّ مطلقيها في الهواء عاليًا من بعيدٍ، يُطلقون كُلَّ أنواع القنابل والسِّهام المشتعلة. أَمَّا الغازات السَّامَّة؛ فتُطلقها الطَّائرات جوًّا فتسقط الجثث اختناقًا وحرقًا.

الكُلُّ يُهرول هروبًا من اللَّيل وبرودته، فبعد غروب الشَّمس بدقائق قليلةٍ ترى الجميع مفتونًا مسرعًا، فالبعض يريد اللَّحاق بآخر حافلةٍ للنَّقل كي يصل لبيته مسرعًا، فوسائل النَّقل تصبح شبه منعدمةٍ ليلًا، كما أَنَّ ثمنها يتضاعف ليلًا مقارنةً بتعريفة النَّهار، ترى قلَّةً قليلةً من النَّاس رفقة أولادهم؛ إِذْ تختلف وجهاتهم ومقاصدهم، فالبعض منهم يرافق أبناءه للبيت، أَمَّا البعض الآخر فيوصلهم لحضور حصص التَّدريس الإضافيَّة، فدروس المدارس العموميَّة غالبًا لا تفي بالغرض المنشود بحسب

رأي الأغلبيَّة السَّاحقة، لذا؛ فالدُّروس الإضافيَّة تكملةٌ وتقويةٌ للدُّروس الأساسيَّة المُقدَّمة من طرف المدارس العامَّة، لَكِنَّ الآراء تختلف فيما بينهم بطبيعة الحال.... مدَّة الدُّروس الخصوصيَّة لا تتجاوز السَّاعتين غالبًا، فَبَعْدَ الانتهاء منها، يرجع الآباء رفقة أبنائهم قاصدين منازلهم، وبعضهم يذهب وحيدًا لقرب منزله من مكان التَّدريس، والبعض الآخر ينتظر سيَّارة الأجرة، أَمَّا آخرون، فيذهبون رفقة أولياء أمور أصدقائهم أو جيرانهم.

تَقفل المتاجر والمقاهي المتبقِّية، لَكِنَّ أغلبها يَقفل، سرعان ما تغرب الشَّمس....فللَّيل حرمته.

الطَّريق خاليةٌ، لا وجود لسيَّاراتٍ كثيرةٍ، فقط قلَّةٌ قليلةٌ منها، فتراها مسرعةً تتجاوز إشارة الضَّوء الحمراء وبعضٌ منها يحترمها....

ترى قططًا تتجوَّل وتختبئ خلسةً، بين أكياس القمامة كي تلتقط بقايا الطَّعام لتسُدَّ بها جوعها. ترى بعض الكلاب تنبح وتمشي مهرولةً، فتلمح بالصُّدفة القطط هاربةً منها وقد اقشعرَّ بدنها... ترى سيَّارة شرطةٍ واحدةٍ أو اثنتين تجوبان الشَّوارع؛

تُمَشِّطَانِ الأحياء الرَّئيسيَّة، بينما تَمُرُّ سيَّارة إسعافٍ واحدةٍ كُلَّ ساعةٍ أو ساعتين، فالحوادث تكثر ليلًا.

في الأحياء المظلمة المهجورة المهمَّشة، شبابٌ طائشٌ يتناول المخدِّرات خلسةً، يتشاجرون في بعض الأحيان على الكَمِّيَّةِ والجرعات، فتكون بذلك تصفية حساباتٍ فيما بينهم، فَتَعُمَّ الفوضى المكان، فيتردَّد صدى صوتهم في الأراضي الفارغة والمنازل المهجورة... في بعض المنازل شِبْه المحطَّمة، مشرَّدون كُثُرٌ اتَّخذوها مأوىً لهم ليلًا؛ إنَّهم لَمحظوظون، فهناك على الأقلِّ جدرانٌ تحيط بهم، كُلُّ مشرَّدٍ له جهته الخاصَّة به، كُلُّ مدمنٍ له نطاقه الخاصُّ به فلا يتجاوز أحدٌ نطاق الآخر. في أحياءٍ أخرى ترى نشاطًا غير عاديٍّ، فهناك تتجمَّع الطَّبقات الاجتماعية المختلفة، ما عدا تلك الفقيرة المعدمة، إنَّه شارع البغاء واللَّهو والزَّهو، ترى المقاهي اللَّيليَّة – وإنْ صَحَّ القول حاناتٍ ليليَّةٍ – تضيء المكان بأنوارها المتلألئة المُتَوَهِّجَةَ التي تثير العيون، إنَّها الكباريهات يا سادة؛ فيها تكون الرَّاقصات مع ضرب الطُّبول، وما خفيَ كان أعظمُ، فالمكان وَكْرٌ لِكُلِّ أنواع الانحلال بشكلٍ سِرِّيٍّ تحت غطَاء الرَّقص والطَّرب اللَّيليِّ؛ إنَّهُ الفنُّ الفاسد يا سادة.

تختلف الأماكن لَكِنَّ الهدف واحدٌ، التَّمتُّع بِجَوٍّ يُذْهِبُ العقل بِأَيَّةِ طريقةٍ كانتْ. الأهمُّ؛ أَنَّكَ ستنسى حياتك المعتادة نهارًا أثناء اللَّيل المُبَهْرَجِ الصَّاخِبِ، فتعود لروتينك اليوميّ فور طلوع الشَّمس صباحًا عند أَوَّلِ خيطٍ من خيوط أشعَّة الشَّمس.

ففي اللَّيل كُلُّ ما هو مُحَرَّمٌ مُسْتَبَاحٌ، وكُلُّ ما يُعَدُّ غريبًا في وضح النَّهار لهو أمرٌ عاديٌّ ليلًا، فلا داعي للاستغراب، فللَّيل كائناته الخاصَّة به، فَكَمَا يُقال "للَّيل أصحابه". إنَّ البعض منهم مختبئٌ تحت الصَّفائح المعدنيَّة يتوسَّدون العراء ويلتحفون اللَّيل، فئةٌ جريئةٌ يظهرون علنًا لا يهابون شيئًا، يتنفَّسون الحريَّة مُحْتَضِنِينَ برودة اللَّيل الدَّافئة، بينما الأغلبيَّة في منازلهم ينعمون بنومٍ هانئٍ – على الأقلِّ – بالرَّغم من بعض الاختلافات والخلافات الشَّائعة بين أفراد العائلة، فلا بيت يخلو من المشاكل. بينما آخرون تحت سقف غرفة الإنعاش بين الموت والحياة، وآخرون في المستشفى ينتظرون أن تشرق الشَّمس فتشرق قلوبهم بخبرٍ مُفْرِحٍ، أتعرفون ما هو؟ أَنْ يُزَفَّ خبرُ إعلانِ خروجهم من المشفى ليتابعوا حياتهم كبقيَّة النَّاس الأصحَّاء.....

أصواتٌ مدوّيةٌ أرعبتِ الجميع، اختلطت بصرخاتٍ ونواحٍ، السَّماءُ تتوهَّجُ بأضواءٍ مشتعلةٍ، من شدَّة الأنوار تَظُنُّ بِأَنَّ هذه الأحداث تحدث في وضح النَّهار، كراتُ لهبٍ مُشْتَعِلَةٌ تتطاير في السَّماء مُحَلِّقَةً، ثم تصطدم بالأرض مُحْدِثَةً انفجارًا مُدَوّيًا، فتحرقُ كُلَّ شيءٍ ارتطمت به. لا أحد يستوعب الأمر، فما الذي يجري يا تُرى؟ الكُلُّ مصدومٌ ومَرْعُوبٌ، أَمَّا البعض؛ فقد فارق الحياة، فَلَمْ تُفْتَحْ له أبواب المعرفة... فالوضع مُبْهَمٌ... الكُلُّ يركض بلا وجهةٍ معيَّنةٍ، الكُلُّ مرتعبٌ، خائفٌ، البعض لا يستطيع الحراك، فقد أُصيب بإصاباتٍ بليغةٍ كفيلة بتشبُّثه أرضًا، زاحفًا، آملًا الهرب من مصيرٍ محتومٍ؛ إِنَّهُ التَّشبُّث بالحياة الذي يتمسَّك به الإنسان، البعض منهم بُتِرَتْ ساقاه، والبعض الآخر بُتِرَتْ يداه، ومنهم من أَصابه الإغماءُ من هول الصَّدمة، ومنهم من يكابر زحفًا لعلَّه ينجو.

في الزَّاوية المظلمة؛ جذعٌ بشريٌّ مبتورٌ متكئٌ على الرَّصيف، الدِّماءُ تسيل منه، بعيدًا من جهة اليسار تجد النِّصفَ السُّفلي الخاصَّ به مُلقىً على الأرض..... زاحفٌ بيديه للأمام وسط الطَّريق وأمعاؤه تتدلَّى، ليسقط رأسه أرضًا مغميًّا عليه للأبد، سيَّارةٌ مسرعةٌ تصدم كُلَّ ما يعترض طريقها، ترى السَّائق يلتفت

يمينًا ويسارًا، وعيناه تجوبان كُلَّ ما حولها، عيناه مشدوهتان فزعتان، تراقبان الطَّريق بهلعٍ شديدٍ، أعصابه مشدودةٌ، ترى عروقه بارزةً من رقبته من شدَّة الصُّراخ، وتلفُّظه بكلمات سَبٍّ وشتمٍ، يضغط على عجلة القيادة بقبضة يده بقوَّةٍ وعصبيَّةٍ بين الفينة والأخرى لينطلق صوت البوق صارخًا، لكن لا أحد يستجيب، فلا حياة لمن تنادي هناك، مناظر تقشعرُّ لها الأبدان وتكاد الأعين لا تصدق ما تراه، والعقل يكاد يفقد صوابه، ورُبَّمَا قد غاب العقل فظهرتْ غريزة الهروب والبقاء على قيد الحياة. عجلات السَّيارة تدوس على أطرافٍ بشريَّةٍ متناثرةٍ، فتعرقل سيرها، إنَّه الآن ينطق بكلماتٍ عشوائيَّةٍ ورذاذ لعابه يتطاير، يصرخ عاليًا يضرب عجلة قيادة سيَّارته كُلَّمَا تعثَّر بشيءٍ يعرقل سبيله، يزيد من سرعته ليختصر الوقت، يريد النَّجاة؛ فطوق نجاته الوحيد، سيَّارته.

في الجانب الآخر؛ تركض بسرعةٍ، رغم تعثُّرها تقاوم لتتابع الرَّكض، أنفاسها تكاد تنقطع، دقَّات قلبها متسارعةٌ، يكاد قلبها أَنْ يخرج من قفصه الصَّدريّ، ثيابها متَّسخةٌ إنَّ حالتها لَمُزْرِيَة، ها هي ذي تلمح سيَّارةً قادمةً من بعيدٍ اعترضتْ طريقها، إنَّهَا تُلَوِّحُ لها من بعيدٍ كي تنجو بحياتها. فقد اعتادتْ

وقوف السَّيارات لها عند أوَّلِ إشارةٍ منها، فكيف لسيارةٍ أَنْ لا تقف لحضرتها؟ صاحبة الحسن والجمال؛ إنَّها شهرزاد المعروفة بأميرة الكباريه، صاحبة الحنجرة الذَّهبيَّة والقوام الممشوق.

لقد لمح امرأة من بعيدٍ تعترض هدفه الأسمى، لقد زاد من سرعة سيَّارته وما زال يَسُبُّ ويشتم ويلعن الوضع بِرُمَّتِهِ. بلا مبالاةٍ اصطدم بها، لَمْ تُصَدِّقْ شهرزاد ما جرى لها، فكتلةٌ حديديَّةٌ ألقتْ بها بعيدًا ككرةٍ لتصطدم بعارضةٍ فتسمع طقطقة عظامها، قفصها الصَّدريُّ فُتِحَ على مصراعيه ليعلن حرِّية القلب ليتوقَّف بعد ذلك عن عمله الشَّاق... يمسح عرقه عن جبينه صارخًا بأعلى صوته قائلًا: أنا والطُّوفان من بعدي، انطلقتْ من فمه ضحكاتٌ هستيريَّةٌ، التفتَ وراءه للحظةٍ، فَإِذَا به يصطدم بكومةٍ من الجثث فتُعرقل بذلك سيره، لقد فقد السَّيطرة على سيَّارته ليصطدم بحطام المباني المنهارة، فتنقلب السَّيارة رأسًا على عقبٍ، لقد تَهَشَّمَ الزُّجاج الأماميُّ من شدَّة الاصطدامات المتتالية، صرخةٌ مكتومةٌ انطلقتْ من بين شفاهه المُزَرَقَّة، عيناه تمركزتا عاليًا ودموعٌ محبوسةٌ انطلقتْ كالسَّيل على خديه لتلتصق بلحيته، لقد اخترق العمود الحديديُّ صدره لينغرس في قلبه.

هناك في الجانب الآخر، امرأة تَحْتَضِنُ طفلها الصَّغير، أَرْجُلُهُ الصَّغيرة مُتَفَحِّمةٌ، تتدلَّى من الغطاء المهترئ؛ إِنَّهَا تُحَاول حمايته بِكُلِّ ما أُوتِيَتْ من قوَّةٍ، إِنَّهَا معجزة الأمومة يا سادة، لَكِنَّهَا لا تدري أَنَّ ما تحمله بين ذراعيها جَثَّة هامدة، ترى أخرى تركض خائفةً ممسكةً بيد طفلها الذي يحاول مجاراتها، لَكِنَّه يظلُّ خلفها مهما ركض، لتتعثَّر فجأةً فتقع أرضًا ليسقط حائط المبنى عليها فَيُرْدِيهَا قتيلةً، فيصرخَ الطِّفل مرعوبًا مُتَبَوِّلًا على نفسه، فَيَدُ أُمِّه المبتورة بقيتْ مُتَمَسِّكَةً بيده بشكلٍ مأساويٍّ.

المبنى الآخر على وشك الانهيار، أُنَاسٌ يصرخون من نوافذهم ينظرون بهلعٍ لِأُنَاسٍ آخرين أرضًا يركضون في عبثيَّةٍ هنا وهناك، يدفع بعضهم بعضًا لِيَفْلِتُوا من سقوط تلك الكتلة الإسمنتيَّة الضَّخمة عليهم. الصَّرخات تكاثرتْ والدُّموع لا تتوقَّف والدِّماء تتناثر، فلا فرق بين حيٍّ ومَيِّتٍ، فالكُلُّ بكى دمعًا ودمًا فلَمْ ينج أحدٌ....

الأضواء تزداد تَوَهُّجًا وانبعاثًا، إِنَّها النِّيران والشَّراراتُ.... عيونٌ مفزوعة مفجوعة، والأنفس تقول أنا والطُّوفان من بعدي، يتدافع النَّاس ويدفع بعضهم بعضًا ليتساقطوا واحدًا يلي الآخر،

آجلًا أَمْ عاجلًا، يتسارع النَّاس لأقرب منفذٍ لأقرب نافذة إغاثةٍ ليهربوا من الحصار، يقصدون أقرب مأوىً، سواء حفرة، نَفَقًا كان أَوْ حتى قَبْوًا إِنْ وُجِدَ، كَيْ يختبئوا من القنابل الملقاة بعبثيَّةٍ من السَّماء... يريدون النَّجاة بحياتهم....

الفوضى تَعُمُّ الطُّرقات من كُلِّ الجهات، سيَّاراتٌ تنفجر وأخرى تنقلب رأسًا على عقبٍ، صراخٌ وبكاءٌ، حيرةٌ وضياعٌ، النَّاس أمواتٌ أحياءٌ، تائهون .... إِنَّهم كالفئران في قفصٍ محاصرون من كُلِّ الجهات .... فالسَّماء تمطر قنابلًا وسهامًا ملتهبةً.... إِنَّ السَّماء في ظلمتها أضاءتْ... يخرجون من منازلهم تباعًا، يركبون سيَّاراتهم بسرعةٍ، أغلبهم يحاول إدارة المفتاح، لَكِنَّ أياديهم ترتجف فَيَفْلِتُ لينزلق من بين أصابعهم فيسقط أرضًا، يَهُمُّونَ للانحناء وهم يرتجفون من شدَّة الهلع لالتقاطه، منهم مَنْ نجح في ذلك فحلَّق بسيَّارته، ومنهم من فوجئ بضربةٍ على رأسه غدرًا فَسُلِبَتْ منه سيَّارته في رمشة عينٍ واحدةٍ، لَكِنَّ الفرحة لم تكتمل، فبعضهم اعترضتْ طريقه حفرٌ، وآخرون اصطدمتْ به قنبلةٌ، فانفجر بسيَّارته....أَمَّا البعض الآخر فاعترض النَّاس المُشَاةُ طريقهم بهستيريَّةٍ وصراخٍ مَصْحُوبٍ بعنفٍ دامٍ، يُصاحبه تكسيرٌ للزُّجاج الأماميّ بعصيٍّ

وحجارةٍ....بعض السَّائقين في الجانب الآخر كان فطنًا فزاد من سرعة سيَّارته لتخويف المعترضين ليصطدم بهم بسرعةٍ، فتتطاير الأجسام مُحَلِّقَةً لتقع أرضًا على الرَّصيف أو جنبات الطَّريق ...لكن من شدَّة التَّصادم بهم تصدَّع زجاج السيَّارة الأماميَّة، لقد صار سائقها مجنونًا، فزاد من السُّرعة، فالنَّاس على إصرارٍ تَامٍّ بعدم إفساح المجال لعبوره. في غفلةٍ أطلق أحدهم رصاصةً لتخترق أحد شقوق الزُّجاج الأماميّ لتستقر مباشرةً في قلب السَّائق فأردته قتيلًا، تجمَّع النَّاس حول السَّيَّارة يتشاجرون يتضاربون يتدافعون بشكلٍ جنونيّ للاستيلاء عليها، يطمعون في اختصار الوقت للهروب، لَكِنَّ الطَّائرات المُحَلِّقَة نسفتهم بالقنابل.

في الطَّرف الآخر من المدينة، وبالضَّبط في أحد الطُّرقات تتعثَّر بعض السَّيَّارات بالجثث الملقاة أرضًا، بأطرافٍ بشريَّةٍ بأشباهٍ بشريَّةٍ، من شدَّة الخوف تراهم غير مبالين بالدَّوس على الأحياء منهم، فالأهمُّ من كُلِّ هذا هو النَّجاة بأرواحهم، تحت شعار أنا والطُّوفان من بعدي....

إِنَّهُ يترنَّح في مشيته مُتَعَثِّرًا بالجثث، يحاول الوقوف مجدَّدًا، تنزلق يده اليسرى في بركة دماءٍ طازجةٍ دافئةٍ، لَكِنَّهُ لا يكترثُ للأمر، وقف وبيده اليمنى يحاول تجرُّع آخر قطرة كحولٍ متبقِّيةٍ في قِنِّينَتِهِ، يَتَأَفَّفُ فيلقي بها أرضًا لتصطدم برأس إحدى الجثث، يتابع التَّقدُّم للأمام بحذائه المبتسم المتَّسخ، فيحاول إبعاد الأجسام البشريَّة من طريقه، لَكِنَّهُ عالقٌ بينها فحركاته الغير المُتَّزِنَةِ لا تساعده، ها هو يستلقي على الجثث مبتسمًا وعيناه للسَّماء مراقبةٌ، يُعِدُّ الطَّلقات الجوِّيَّة بأصبع سبَّابة يده اليمنى ويتمتم بأرقامٍ؛ إِنَّهُ مشبعٌ بالكحول والحبوب المخدِّرة يعيش في عالمٍ خياليّ، لا يَمُتُّ لواقعه بِأَيِّ صلةٍ، في أحلامه هو تائهٌ يرى السَّماء حقيبةً سوداء بداخلها نقودٌ وعملاتٌ ذهبيَّةٌ لامعةٌ تتساقط عليه يعدُّها عَدًّا، يرى نفسه محلِّقًا فوق سحابةٍ بيضاء ناعمةٍ والأيادي من حوله تصفِّق بحرارةٍ، يصرخ سعادةً فما أجمل الحياة عنده، يتقلَّب على الجثث المشوَّهة المتناثرة المتراصَّة جنبًا إلى جنبٍ، ها هو يفتح ذراعيه صارخًا ما أكبر هذه القطعة الذَّهبيَّة المشعَّة، وإذا بالقنبلة تُشَتِّتُ جسده لأشلاءٍ ممزوجةٍ ببقايا الجثث.

إنَّهَا كالمجنونة تركض حافية القدمين محترقة الوجه، ملامحها قد تشوَّهتْ كُلِّيًّا، عيناها بالكاد تفتحهما ترى الأماكن بصعوبةٍ.... لَكِنَّها تتابع الرَّكض حاملةً بين ذراعيها رضيعها المُتَفَحِّمَ، تُغَطِّيهِ بخرقةٍ يطغى عليها لون الرَّماد، لتحميه من النِّيران المشتعلة في كُلِّ مكانٍ؛ إنَّها لا تتقبَّل وفاة ابنها الصَّغير فما زالتْ تحميه، شعرها مُجَعَّدٌ، نصفه قَدِ احترق، تظنُّها شبه مَيِّتَةٍ، كالأموات الأحياء، تتنفَّس بصعوبةٍ من شدَّة الرَّكض المستمرِّ، جسدها محترقٌ تطغى عليه كدماتٌ زرقاء وحروقٌ نهشت جلدها لتظهر تفاصيله الداخليَّة ... لباسها خرقةٌ باليةٌ محترقةٌ تتطاير، وبعضٌ منه مُلْتَحِمٌ بجلدها من شدَّة الحرق، تعثَّرتْ فجأةً لتسقط أرضًا على ركبتيها فصرختْ ألمًا وبيديها تعتصر ابنها لتضمَّه لصدرها، نهضت لتقف بشكلٍ متوتِّرٍ، تحاول الثَّبات على قدميها الهزيلتين، ها هي ذي تقف أخيرًا، تُزيل طرف الخرقة عن وجه ابنها، لا تستطيع رؤيته بوضوحٍ، فعينيها المشوَّهتين لا تسمحان لها بذلك، لكن يكفيها أنَّها تراه على الأقلِّ ولو كان ذلك بشكلٍ ضبابيٍّ، حَطَّتْ جبينها على جبينه لتنزل دموعٌ حارقةٌ على وجهها فتزداد ألمًا، فتستقرَّ الدُّموع على وجهه الصَّغير لتتبخَّر بعد ذلك، فيلتصق جبينها به فتحاول إبعاده بهدوءٍ (عن

جبينه) فينسلخ جلدها بصعوبةٍ كعلكةٍ يصعب إزالتها من على الأرض؛ إنَّ جلدة جبينها تتمدَّد كالعلكة الممضوغة لتمتزج بتلك الخلايا الجلديَّة لكليهما معًا، فصرختْ ألمًا، فمحاولة الابتعاد صعبةٌ ، إنَّ الفراق لصعب، فكيف لها أَنْ تفارق رضيعها؟

احتضنته بقوَّةٍ في أحضانها وجبينها متورِّمٌ، فتابعتِ الرَّكض لوجهةٍ غير معلومةٍ، المهمُّ أَنْ تكون رفقة طفلها، هي وطفلها ولا أحد غيره، لقد ابتعدتْ كثيرًا عن مكان القنابل، طلقاتٌ ناريَّةٌ مباغتةٌ تخترق جسدها لترديها قتيلةً، بين يديها طفلها، تتمسَّك به في لحظاتها الأخيرة وذراعاها مُتَشَبِّثَتَانْ به بقوَّةٍ.

قُصِفَ المشفى كذلك، لقد سُلِبَ الأمل، فلا أطبَّاء ولا ممرِّضين ولا حتى مرضى، فالكُلُّ قُتِلَ بقنابل متتاليةٍ؛ واحدةً تلو الأخرى.

بِزِيِّهِم الأبيض يركضون في الممرَّات لعلَّهم ينجون بحياتهم، المصاعد تعطَّلتْ ... البعض عالقٌ في المصعد، البعض فارق الحياة بانفلات المصعد.... ملابسهم الملائكيَّة صارتْ حمراء قاتمة اللَّون، دماءٌ في كُلِّ مكانٍ، الأطبَّاء والممرِّضون فرُّوا هاربين

تاركين المرضى، انطلقوا بأقصى سرعتهم لأقرب منفذ إغاثةٍ، هَمَّ المرضى بالرَّكضِ في الممرَّات بصعوبةٍ، لَكِنَّ البعض منهم ظَلَّ حبيس سريره لعجزه عن الحركة، والبعض الآخر في غيبوبةٍ لا يَحِسّ بشيءٍ، وآخرون من شدَّة خوفهم سقطوا أرضًا يزحفون، تاركين سريرهم لعلَّهم ينجون، الكُلُّ في توتُّرٍ وفوضى؛ إنَّ المبنى ينهار الآن جزئيًّا في بعض الأجنحة.

رغم الفوضى العارمة، ما زال مُصِرًّا على إتمام العمليَّة الجراحيَّة مع طاقمه الطِّبِّيّ، فالعمليَّة دقيقةٌ للغاية، فمنذ ساعاتٍ، هو وطاقمه منهمكون في إنجازها على أَتَمّ وجهٍ، فالحالة المرضيَّة نادرةٌ للغاية، ونجاحها قد يكون حدثًا تاريخيًا وصحفيًّا بارزًا، وثورةً في ميدان الطِّبّ، فنجاح هذه العمليَّة بالذَّات يتطلَّب الصَّبر والجهد والدِّقَّة مع التَّركيز الفائق وعدم التَّأثُّر بِأَيِّ حدثٍ خارجيٍّ. إنَّ فريقه الطِّبِّيّ يتقاسم وجهة النَّظر ذاتها، فلابدَّ من النَّجاح، لم تبق سوى دقائق معدودةٍ لإنهاء العمليَّة، وأخيرًا.. تُوِّجَتِ العمليَّة بالنَّجاح، فالعناصر الحيويَّة للمريض تعمل بشكلٍ جيّدٍ، لا مضاعفاتٍ ولا تقلُّباتٍ تُذكر، لقد خرج الفريق أخيرًا فرحًا بنجاحه المبهر، ها هي التَّصفيقات تتوالى من الطَّاقم الطِّبِّيّ، لتليها بعد ذلك تهنئة مدير المشفى رغم قلقه من

القصف، فانطلقت الضَّحكات بعد ذلك، لَكِنَّها سرعان ما اختفت، فقد نسفتهم القنبلة جميعًا.

كانتْ تنظر من نافذتها متأمِّلةً مبتسمةً، فاللَّيلة ستكون آخر ليلةٍ تقضيها في المستشفى حبيسةً في هذه الغرفة، تسدل خصلات شعرها الخفيف بالمشط، تأمل في شروق الغد، إنَّ السَّماء تشتعل نارًا فاقتربتْ من النَّافذة أكثر لترى بِأُمِّ عينيها، لكن سرعان ما تقصفها قنبلةٌ محلِّقةٌ، فكانتْ آخر شيءٍ تراه عيناها. لقد انهار قسم الأمراض الباطنيَّة بالكامل، فانهار حلمها وما هي إلا دقائق حتى انهار المستشفى بأكمله.

ما زالت السَّماء تمطر نيرانًا، والشَّوارع في حالة فوضى عارمةٍ، لقد تساوتِ الطَّبقات الاجتماعيَّة في هذه اللَّيلة، فالكُلُّ افترش الشَّارع، وصار شبه عارٍ، راكضين بلا وجهةٍ، يحاولون النَّجاة حتى ولو كان ذلك على حساب الغير. صرخاتٌ.. كلماتٌ غير مفهومةٍ، عنفٌ.. سَبٌّ.. وشتمٌ، محاولات إنقاذٍ، محاولات قتلٍ، هروبٌ واختباءٌ، حيرة.... البحث عن أبناءٍ، يأسٌ وعدم تصديقٍ، لا مبالاة، لا رحمة، لا شفقة، صدمةٌ... أحاسيس مختلطةٌ متضاربةٌ متناقضةٌ، أنانيَّةٌ.... لَكِنَّ غريزة البقاء

ترأَّستِ القائمة، فالهدف واحدٌ؛ هو محاولة النَّجاة، النَّجاة لا غير، حتى ولو انتهى بكَ الأمر مبتور الأطراف، فالمهمُّ هو النَّجاة بأَيّة طريقةٍ كانتْ، فالموت قاتلٌ شرسٌ، والكُلُّ يبغضه رغم تمنّيه له في لحظات يأسه، فحين وصول الموت إليكَ، تجد نفسكَ تفرُّ منه، فتحاول التَّمسُّك بطرف خيط الحياة، ذاك الذي وَدَدْت يومًا قطعه، لَكِنْ حينما يحين أجلكَ، فلا مفرّ من الموت أبَدًا، فشمسُكَ – حينئذٍ – لَنْ تُشْرِقَ أبَدًا .

صباحٌ مُظلمٌ

تسمع زقزقة العصافير المغرِّدة، فترفع يديها عاليًا بكسلٍ شديدٍ، إنَّها تتثاءب الآن، ما تزال مستلقيةً على سريرها وشعرها الأسود متناثرٌ على المخدَّة بشكلٍ فوضويٍّ، تفتح عينيها رُوَيْدًا رُوَيْدًا كعادتها، لَكِنَّهَا لا ترى سوى ظلامٍ حالكٍ. رُبَّمَا ما زال الوقت ليلًا، فعادتْ لفراشها تختبئ فيه لتُكمل نومها، لَكِنَّهَا قفزتْ من فراشها هَلِعَةً؛ فقد سمعتْ زقزقة العصافير مجدَّدًا، عيناها مفتوحتان منبهرتان مصدومتان... بؤبؤا عينيها متَّسعان للغاية، إنَّ حجميهما كبيرٌ على غير المعتاد، لا تُصَدِّقُ ما سمعته أذناها البتَّة، هل هناك خطبٌ ما؟ عقدتْ حاجبيها متسائلةً في داخلها، فالأمر مريبٌ للغاية، وما زاد الأمر ريبةً سماعها لصوت منبِّه سيَّارة النَّقل المدرسيِّ الذي توالى عدَّة مرَّاتٍ، تلاه صوت أطفال جارها محمود، فضحكاتهم سَبَّبَتْ ضوضاء في الحَيِّ

بأكمله كما هو الحال دائمًا، سمعتْ صوت والدهم يُوَدِّعهم وبعدها انطلقتِ السَّيَّارة.

تساءلت هَلْ هي مُتَوَهِّمَة؟ إنَّه الظَّلام في كُلِّ رُكْنٍ من أركان غرفتها، لا منبع للضَّوء حتى لذلك الشُّعاعِ الصَّغير اللَّطيف من نافذتها الصَّغيرة، لا وجود لشعاعٍ بسيطٍ من أشعَّة الشَّمس ليتسلَّل برفقٍ كَكُلِّ صباحٍ، تساءلت ما الذي يحصل؟ هَلْ هناك خطبٌ ما في الجوِّ؟ هَلِ الغيوم السَّوداء السَّبب؟ ها هي ذي بيديها تتحسَّسُ سريرها لتحاول النُّزول منه باحثةً عن الزِّرِّ الكهربائيّ كَيْ تُشْعِلَ النُّور في الغرفة. تتحسَّسُ الجدران بيديها الرَّقيقتين ولباسها الأبيض منسدل أرضًا، لقد عثرتْ عليه أخيرًا، قامتْ بتشغيله، لَكِنَّ الظَّلام لَمْ يَتَبَدَّدْ، أَعَادَتِ الكَرَّةَ مرارًا وتكرارًا، لَكِنْ بلا جدوى، وجهها مذعورٌ، شفاهها ابْيَضَّتْ، إِنَّهَا خائفةٌ للغاية، دقَّات قلبها تسارعتْ، واقفةٌ هي مُسْتَنِدَةٌ على الحائط وشعرها يتدلَّى على كتفها الأيمن، تمالكتْ نفسها فاتَّجهتْ مسرعةً لتقصد النَّافذة، لقد تعثَّرتْ بلباسها الطَّويل وسقطتْ أرضًا، ها هي ذي تقف على قدميها، تَتَجِّهُ بحذرٍ شديدٍ وهي تُلوِّح بيديها بِعَبَثِيَّةٍ، لقد وصلتْ للنَّافذة أخيرًا، تفتحها ببطءٍ وترفع السِّتار عاليًا بعد عدَّة محاولاتٍ لبلوغه. وأخيرًا؛ تسمع

صوت جارتها فَوْزِيَّة تُلْقي عليها التَّحيَّة الصَّباحيَّة بفرحٍ كعادتها، لقد صُدمتْ، أهي هلوسات أَمْ كوابيس ليليَّة؟ تراجعتْ للخلف فوقعتْ جالسةً على الأرض ويديها مُتَّكِئَتَينِ من الخلف على الأرض، عيناها مذعورتان، وجهها أصفر اللَّون، لقدْ طغى الشُّحوب على وجهها الملائكيّ، لَمْ تُعِرِ الجارة اهتمامًا لردَّة الفعل تلك، فلقدْ كانتْ على عجلةٍ من أمرها.

تتراجع للخلف بيديها وهي في وضعيَّة الجلوس، كُلُّ شيءٍ من حولها أسود اللَّون. أتراها في حلمٍ أَمْ في كابوسٍ مخيفٍ؟ متى ستستفيق منه؟ هذا ما دار في ذهنها.

التفتتْ بسرعة الضَّوء فزعةً للغاية، فقد رنَّ منبَّه هاتفها، سيضيئ عتمتها، لكن لم يفعل، حاولتِ النّهوض، لَكِنَّها تسقط في كُلِّ مرَّةٍ، قدماها ترتجفان لا تستطيعان حمل جسدها الهزيل، تتعثَّر في كُلِّ محاولةٍ... تريد التَّأكُّد هَلْ ما تسمعه حقيقيٌّ؟ هَلْ ما تراه مجرَّد وهم، حلمًا أم كابوسًا؟

ها هي ذي تلامس هاتفها الرَّنَّان لقد أسقطته أرضًا، يرنُّ بلا نورٍ بلا ضوءٍ ينير ظلمتها. اغْرَوْرَقَتْ عيناها فانهمر سيلٌ من الدُّموع على خدَّيها، أغمضتْ عينيها وفتحتهما لعلَّها تُبصر

شيئًا، لَكِنَّ كُلُّ ما تراه عيناها ظلامًا دامسًا. صرختْ بأعلى صوتها أين أنا؟ أين أنا؟ تُحَرّك يديها بعبثيَّةٍ، تمسك بطرف الغطاء فألقته أرضًا، تبكي صارخةً أين أنا؟ أين أنا؟

هرولتِ الأمُّ مسرعةً، فتركتْ ما في يدها لتصعد السَّلالم بعجلةٍ، لحقها الأب بعد أَنْ أطفأ النَّار على الأكل. فتحت الأمُّ الباب لتجد ابنتها على الأرض منهارةً تلطم وجهها بقوَّةٍ بيديها وشعرها متناثرًا على ظهرها، بقبضة يديها تضرب الأرض ضربًا حتى تورَّمتْ يداها. الفوضى تعمُّ الغرفة، فالفراش ملقىً على الأرض، النَّافذة شبه مفتوحة، الهاتف يرنُّ بلا توقُّف، اقتربتْ الأمُّ بحذرٍ شديدٍ لتحتضن ابنتها، لعلَّ نوبات الغضب تختفي، دفعتِ الفتاة والدتها صارخةً ابتعدي عنِّي! ابتعدي! وتراجعتْ للخلف ليصطدم ظهرها بالحائط جالسةً القرفصاء، وتهتزُّ برعبٍ وخوفٍ شديدٍ. الأُمُّ اندهشتْ وفزعتْ وقالتْ بصوتٍ يكاد يُسمع: لقد أصاب ابنتي مَسٌّ مِنَ الجِنّ. نطق الأب وفي وجهه علامات التَّعجُّب والحيرة صارخًا: اسكتي يا امرأة!

اقترب الأب كذلك بحذرٍ من ابنته، فطبطب على كتفها قائلًا: ابنتي الغالية، لا تخافي فنحن والداك، أنا والدكِ يا رنا،

انظري إلينا يا عزيزتي، لا تخافي. أمسكتْ يده اليمنى بسرعة البرق تتحسَّسها بدقَّةٍ متناهيةٍ، ها هي ذي تلمس معصمه لتتأكدَّ من وجود السَّاعة الكبيرة والإسورة التي لا تفارق والدها، تنفَّستِ الصُّعداء. ورفعتْ رأسها ببطءٍ، مَدَّ الأب يده اليسرى ليُبعد خصلات شعرها المتناثرة على وجهها، يقترب أكثر كي يراها عن قربٍ، رفعتْ وجهها، وإِذَا بعينيها فارغتين، لا حياة فيهما، اندهش الأب وَلَمْ ينطق بحرفٍ واحدٍ، ارتمت الفتاة بين أحضان والدها والدُّموع كسيلٍ تنهمر، يُطبطب الأب على ظهرها ويلامس شعرها الطَّويل برفقٍ، تصرخ بصوتٍ مدوٍّ أنا لا أرى شيئًا يا أبي، يا أبتاه أنا لا أرى سوى الظَّلام، تصرخ وتشهق بكاءً وصوتها متقطِّعٌ، أبي أنقذني، أنا لا أرى ... لا أرى.... وأجهشتْ بالبكاء كطفلةٍ تائهةٍ في الزُّحام، إِنَّها في ظلامٍ موحشٍ.

ذُهِلَ والداها، أمُّها مصدومة للغاية لا تصدِّق ما تراه وما تسمعه، أبعد الأب ابنته من حضنه، فَهَمَّ يُلَوِّحُ بيديه قريبًا من عيني ابنته المفتوحتين، لكنَّ هاتين الأخيرتين لا تتحرَّكان أبَدًا، تبادل الوالدان النَّظرات بحسرةٍ. الأُمُّ تضع يديها على فمها

تكبح صرختها، لكنَّها لم تكبح دموعها التي سرعان ما انهمرتْ كشلَّالٍ.

اقترب الأب مجدَّدًا، محتضنًا ابنته هامسًا في أذنها: أنتِ لا ترين شيئًا، أليس كذلك؟ فأجابته بتلعثمٍ: نعم يا أبي. همس الأب في أذنها وهو يعتصرها بداخل صدره: لقد فقدتي بصركِ يا بُنَيَّتِي على ما أظنُّ. تضرب صدره بقوَّةٍ صارخةً لا يمكن لا يمكن لا يمكن....

ألن تشرق الشَّمس أبَدًا؟

انتقام

تلطمُ وجهها بقوَّةٍ، وبأظافرها تندب خدودها حتى دمتْ، وعلى ركبتيها جلستْ تنادي بصوتٍ غير مسموعٍ ابني! يا ابني! فلا أحد يستطيع سماعها.

لقد تجاوزتِ الخامسة والثَّلاثين من عمرها، قريناتها متزوِّجات منذ زمنٍ طويلٍ، أكبر أبنائهنّ سِنًا الآن هو في العاشرة، أَمَّا أصغرهم سِنًا تجده ذو الخمس سنواتٍ، تَعُدُّ السَّنواتَ عامًا بعد عامٍ، لَمْ يطرق بابها أحدٌ، فكُلُّ من قصدها أرادها للتَّسلية وتمضية الوقت ليس إلَّا، لَكِنَّهَا أبتْ ذلك، تريد أَنْ تكون مثل قريناتها، على الأقلِّ أَنْ تكون متزوِّجةً وبيدها طفلٌ صغيرٌ يفرح قلبها؛ إِنَّها خائفةٌ من البقاء وحيدةً بلا سندٍ وبلا أسرةٍ خاصَّة بها، لا ينقصها شيءٌ، فهي فاحشة الثَّراء، لديها عائلتها وصديقاتها ومعارفها، لا تحتاج مالًا ولا صُحبة، ليلة واحدة ولا جاهًا، فعائلتها أعطتها كُلَّ ما تحتاجه من مالٍ وجاهٍ واسمٍ

وشهرةٍ، كُلُّ ما تريده، أَلا تبقى عانسًا. التقته صدفةً بلا موعدٍ مدبَّرٍ، على طاولة العشاء في المقهى العائليّ، لقد تشاركا الطَّاولة معًا وتناولا العشاء سويَّةً، ليتبادلا بذلك أطراف الحديث، فتبادلا بعد ذلك أرقام الهواتف.... لتتوالى بعدها الاتّصالات.... ليصل الأمر لزواجهما. لولا ازدحام ذاك المطعم وقتها لما التقيا واجتمعا على طاولةٍ واحدةٍ.

إنَّهُ يوم زفاف ليلى الذي انتظرته طويلًا، لقد التحقت بزميلاتها، لقد ألقتْ بالعنوسة أرضًا، إنَّها العروس وذاك هو العريس للمرَّة الثَّانية، إنَّه متزوّجٌ من أخرى وكلتاهما على علمٍ بذلك. فكان الزَّواج بموافقة زوجته الأولى ندى وموافقة ليلى كذلك، الوفاق لا يكون بهذه السُّهولة، فالمرأة بطبعها غيورة، فالمصالح تجمع بين ألدِّ الأعداء، فلكُلِّ واحدٍ منهما مصلحة معيَّنة وهدف معيَّن.

لقد مَرَّ عام على زواج ليلى، وها هي ذي حاملًا بشهرها السَّادس، والأمور برمَّتها لحدِّ الآن بخيرٍ، ندى تموت غيرةً، فهي امرأة عاقر لقد حاولتْ، لكن لا أمل في حملها، فستظلُّ عاقرًا، لَمْ تترك طبيبًا إلَّا وقصدته واتَّبعتْ نصائحه وإرشاداته، حتى

زوجها لَمْ يسلم من إلحاحها على الفحص، لَكِنَّه كان سليمًا معافىً ليس به عيبٌ يُذكر، صارحه أطبَّاءٌ كُثُرٌ بِأَنَّ زوجته ندى عاقرٌ، فتوقَّف عن إخضاعها لفحوصاتٍ طبِّيَّةٍ، فلا فائدة من ذلك. لَكِنَّ ندى لم تتوقف، فلجأتْ لطبيب الأعشاب، وللرَّاقي، وكان آخر آمالها أَنْ تلجأ للسَّحرة والمشعوذين والدَّجالين بالرَّغم من مستواها الدِّراسيّ العالي، فاليأس كُفْرٌ. لقد مَرَّ على زواجها بممدوحٍ إحدى عشرة سنة، بدون أولاد. وها هي ليلى – فقط خلال سنة واحدة من زواجها بممدوحٍ – حبلى في شهرها السَّادس، تلمحها بنظرات حسرة وغيرة، فلقد أرادتْ طفلًا من رحمها، لَكِنَّ هذا الحلم مستحيلٌ بعيد المنال.

ترى زوجها يتكلَّم عن أبناء أصدقائه بلهفةٍ، وقلبها يتقطَّع ألمًا، فهذا يُنقص من أنوثتها، تنتفض من مكانها قائمةً لتذهب للمطبخ تحضِّر أكلةً معيَّنةً كي تُنَفِّس عن غضبها، إِنَّهَا تعيش في رعبٍ دائمٍ، تخاف من الخيانة، فتصير علكةً في أفواه الجميع، تخاف من أَنْ تُشوَّه سمعتها كأنثى.

يضع رجليه على الطَّاولة مبتسمًا، يريد تسميم حياتها بالكامل، فهو على يقينٍ تامٍّ أَنَّه لن يستطيع تطليقها، فعائلتها

ذات نفوذٍ ولن تسمح بذلك أبَدًا، وفرضًا أَنَّهما تطلَّقا، فلن يستفيد شيئًا من ميراثها المتراكم، فكُلُّ ما يجيده الآن هو تقليب المواجع.

إِنَّها تحبُّه كثيرًا، إِنَّها تحسُّ بتأنيب الضَّمير، فهي السَّبب في هذا الهدوء الذي يعمُّ البيت لأكثر من عشر سنواتٍ. لقد فكَّرتْ مليًّا، فاقترحتْ أَنْ يتزوَّج زوجها امرأة أخرى كي يمتلئ البيت أطفالًا، كعادته؛ ادَّعى الرَّفض الزَّائف، لكن في قرارة نفسه يطير فرحًا، فخطَّته قد نجحتْ، فزوجته ندى يعرفها أكثر من معرفتها هي بنفسها، وستخضع للأمر الواقع وتطلب منه أن يتزوَّج، يكاد يُحلِّق من شدَّة الفرح، لا يستوعب ما تسمعه أذناه، فيعيد سؤالها للتَّأكُّد: ندى حبيبتي، أنا أتزوَّج من بعدكِ؟ لتجيبه بحزنٍ تخفيه وراء ابتسامةٍ مصطنعةٍ: نعم يا ممدوح.

الآن يحمل ابنه بين ذراعيه، ليدخل منزله بشموخٍ وتعالٍ وليلى تتبعه بخطواتٍ بطيئةٍ، ندى اقتربتْ من الرَّضيع تلمحه عن قربٍ، أصابتها غصَّةٌ في صدرها فابتعدتْ، رفعتْ رأسها مبتسمةً بتصنُّعٍ قائلةً: مباركٌ لكما. فأجابها الاثنان معًا: مباركٌ لنا جميعًا.

لقد مرَّ أسبوعٌ على ولادة الرَّضيع عماد، إنَّهُ بصحَّةٍ جيّدةٍ لا يشكو من شيءٍ، والداه يضمَّانه ويلاعبانه ويغيّران حفاظاته، ويدلِّلانه، إنَّه الأمير الصَّغير مدلَّل والديه، هو رقم واحد في المنزل، لا حديث إلَّا عنه هو، لا مستقبل ولا حاضر إلَّا به هو، عماد أمل المنزل، لا غيره موجودٌ ولا أحد سيأخذ مكانه .

ما طلبتْ منه شيئًا، إلّا ونسيه، ما أرادتْ تمضية اللَّيلة معه، إلَّا وتحجَّج بعماد، كلَّما حادثته لا يبالي بكلامها، فباله منشغلٌ بعماد، لقد نفد صبر ندى.

تريد الصُّراخ لَكِنَّها لا تستطيع، كُلَّمَا أرادتْ مداعبة عماد، بادر بالصُّراخ والبكاء بصوتٍ عالٍ، لا تعرف السَّبب، فتتعجَّب لذلك!! تأتي ليلى لتحمله بعيدًا وتُطبطب على ظهره، ما زالتْ ندى لا تتقبَّل هذا الوضع، فلولاها لما خلق هذا الصَّغير المزعج المدلَّل، ولولاها لما أتى لهذه الدُّنيا، هذا ما دار في خاطر ندى.

ابتسمت ندى ابتسامةً مصطنعةً كعادتها، دلفتْ غرفتها، وأغلقت الباب بإحكامٍ، وألقتْ بنفسها على السَّرير، ووجهها منقلب على الوسادة وتبكي بحرقةٍ، شريط ذكرياتٍ مَرَّ بأكمله

أمام عينيها ليتوقَّف ويتكرَّر عند لحظاتٍ معيَّنةٍ، فيزداد بكاؤها حتى احمرَّتْ عيناها.

تذكَّرتْ يوم زفاف ليلى على زوجها، لقد بكتْ كثيرًا في غرفتها وأحسَّتْ بالنَّدم الشَّديد، وتمنَّتْ لَوْ عاد الزَّمن للوراء لتغلق فمها ولا تتفوَّه بهذا الهراء، أَنْ تقول كلامًا غير ذلك، فلو تبنَّتْ طفلًا لكان ذلك أفضل، لِمَ لَمْ تخطر بخاطرها تلك الفكرة؟ تذكَّرتْ لحظات سخريَّة ممدوحٍ منها حينما يختلي بزوجته، فما سمعته أشعل فتيل الحقد والكراهية، سمعتْه يقول: أُحِبُّكِ يا ليلى، فأنتِ أرضٌ ولودٌ، أنتِ الأنثى الكاملة لا يَعِيبُكِ شيءٌ، تحملين في رحمكِ وليَّ العهد المنتظر. أجابته بتكبُّرٍ نابعٍ من نبرات صوتها (ترفع صوتها عمدًا): أنا ليلى واللَّيل معي أجمل، فأنا ذات الحسن والجمال، فأنا الأنثى الكاملة، أنا حاملٌ، أحبُّكَ يا ممدوح وابننا يحبُّنا، إنَّه الأمل.

صار الإهمال روتينًا يوميًّا، مُذْ حمل ليلى، كأنَّ ندى مُجَرَّد قطعة أثاثٍ قديمٍ مركونة في الزَّاوية، عدَّلتْ من جلوسها فراودتها بعض الأفكار الشَّيطانيَّة....

ليلى في غرفتها والضُّيوف يباركون لها مولودها الأوَّل، فرحةٌ للغاية فلا ينقصها شيءٌ الآن؛ فهي متزوِّجة، وأنجبتْ طفلًا ذكرًا يحمل اسم العائلة، لقد حقَّقتْ النَّصر الذي أخرس الأفواه التي لقَّبتها يومًا بعانسٍ، تبتسم بتفاخرٍ وتعالٍ، تتدلَّلُ على الجميع، إنَّها الأميرة. رغم كُلِّ ما تُظهره من فخرٍ وتكبُّرٍ إلَّا أَنَّ كلمات الطَّبيب ما زالتْ ترنُّ في أذنيها، سيِّدتي؛ لَقدْ أصبحتِ عاقرًا.

بيديها تمسك الفراش متعصِّبةً وحيدةً في غرفتها تبكي حرقةً، فور تذكُّرها لتلك الصَّدمة القاتلة.

ممدوح يحمد اللَّه ويشكره، لقد أصبح أبًا له ابنٌ يحملُ اسْمَه، يتفاخر به أمام العامَّة، فلديه امرأتان جميلتان غنيَّتان تحبَّانه حبًّا جمًّا، لديه ابنٌ حديث الولادة، لقد برهن على رجولته، لا يهتمُّ بكون ليلى عاقرًا الآن، فلقد حقَّق مراده منها، لا يهمُّه شيءٌ سوى نفسه، هاتفه لَمْ يكفَّ عن الرَّنين، فالكلُّ يبارك له، لم تهمَّه تلك المباركات أبَدًا، فلقد كان ينتظر اتِّصالًا من نوعٍ آخر، لقد رنَّ هاتفه ليشعَّ بلقبٍ معيَّنٍ (قلبي)، ابتسم ممسكًا ذقنه تاركًا الجميع، ليسمع تغاريدها وكلامها المعسول، ليطمئنَّ قلبه عليها، ليستقبل أصدق المباركات منها، منها هي فقط. كلُّ ما تنطق به

يجعله هائمًا تاركًا الدُّنيا وما فيها؛ فقط من أجلها هي، هي وحدها فقط، لكنَّ صوتها كان على غير العادة، تتكلَّم بصوتٍ متقطِّعٍ مبهمٍ، لا يستوعب الأمر... هل المشكل في شبكة الاتِّصالات؟ هل هاتفه تعطَّل؟ هل هاتفها به مشكلةٌ معيَّنةٌ؟ ما الأمر يا ترى؟ ما الذي يجري؟ تغيَّرتْ ملامح وجهه فور سماعه لسيَّارة الإسعاف من الجانب الآخر، يصرخ حبيبتي حنان! حبيبتي! ما بكِ؟ هل أنتِ بخيرٍ؟ انقطع صوتها... فظلَّ الهاتف عالقًا للحظاتٍ والضَّوضاء تزداد حدَّةً، لَمْ يغلق الهاتف بعد، ما زال يصرخ حنان! حنان!

في الجانب الآخر، تُنقل حنان إلى المستشفى وقد أصابتها إغماءة، دماؤها أغرقت السَّرير، لا أمل في نجاتها. جسدها الهزيل يرتجف، ثوبها الأبيض وشعرها الطَّويل الأشقر احمرَّ، عيناها فارغتان، وجهها شاحبٌ ازرقَّ لونه، لقد توقَّف قلبها عن النَّبض بالرَّغم من إسعافها. ممدوح قلقٌ متوتِّرٌ للغاية، أجابه صوتٌ رجوليٌّ هل أنتَ أحد معارفها؟ فأجابه: نعم، بصوتٍ مرتجفٍ.

تابع الشُّرطيُّ كلامه... وممدوح مصدومٌ لا يُصدِّق ما تسمعه أذناه.

ذهب مسرعًا ونبضات قلبه تكاد تسمع عاليًا، سقطت المفاتيح من يده من شدَّة الارتباك، يتصبَّب عرقًا وينحني ليلتقط مفاتيح سيَّارته، يريد التَّوجُّه للمشفى يريد رؤية قلبه، هناك ترقد حبيبته، هناك ملاكه الطَّاهر، لَمْ تطلب يومًا منه شيئًا فمنحها كلَّ شيءٍ، فالمرأة التي لا تطلب شيئًا تستحقُّ كلَّ شيءٍ. وصل أخيرًا يمشي بخفَّةٍ، يمسح شعر رأسه بعنفٍ، يحرِّك يديه عاليًا في مشيته الغير المُتَّزنة، يدعو الله، يريد سلامتها، يريدها بخيرٍ، إنَّه يتمنَّى سلامة قلبه، سلامة نبضه، فكيف له أن يستمرَّ بدونها؟ الفكرة عنده مرفوضةٌ كُلِّيًا.

لقد صفعه خبر وفاتها، فانهار على ركبتيه جالسًا ويضرب الأرض بيديه، يصرخ عاليًا قائلًا: كفاكم كذبًا! أتاه رجال الأمن ليُخرجوه، لَكِنَّه يقاوم ويصرخ، لقدْ هدأ أخيرًا. يراها الآن لآخر مرَّةٍ في حياته، في غرفة الجثث، فانهار باكيًا يقبِّلُ يدَها الباردة، يُتمتم بكلماتٍ غير مفهومةٍ، اتَّصل بأقاربها لإخبارهم بالفاجعة، ليذهب بلا وجهةٍ يمشي وحيدًا، ليجد نفسه في مقهاه المعتاد

الـذي لطالمـا جلسـا فيـه معًـا. تـذكَّر فجـأةً ذاك اليـوم، حينمـا أخبرها أَنَّه سيتزوَّج المرأة الثَّانية، لم تنبس بحرفٍ واحدٍ، قصدتِ الحمَّـام مباشـرةً، فعـادتْ مبتسـمةً لتبـارك لـه، فغـادرتِ المقهـى مدَّعيةً الانشغال. لقد برَّر لها سبب زواجه الثَّاني فتقبَّلته بكبرياءٍ محطَّم، فأكَّد لها أَنَّها وحيدة قلبه وأَنَّها عشقه الأبدي. لطم وجهه قائلًا: يا ليتني تزوَّجتكِ! لقد أعماني المال والجاه... آهٍ يا قلبي!

تركتْ سريرها لتستحمَّ، لعلَّها تُزيل تلك الفكرة اللَّعينة من رأسها، تخلَّصت من لقب عانسٍ لتنتقل إلى لقبٍ آخر، لقب عاقرٍ للأبد.

تركت غرفتها أخيرًا، لتتَّجه لغرفة ليلى، عيناها تستشيطان غضبًا، أعماها البغض، كلُّ ما يجول بفكرها فقط كلمة عاقر. ها هـي ذي تـدلف غرفـة ليلـى خلسـةً، ليلـى غـير موجـودةٍ، إِنَّهـا تسـتحمُّ الآن، الفرصـة مناسـبةٌ... أمسـكتِ الوسـادة بيـديها، تعتصر جنباتها بأصابعها، تقرّبها رويدًا رويدًا من وجه عماد؛ إِنَّهُ نائمٌ بهدوءٍ، ملامحه صغيرةٌ للغاية، لم تكترثْ لذلك، تمدُّ ذراعيها وتمسك بيديها الوسادة، يحاول الصُّراخ لكنه لا يستطيع، عيناه تـرى ظلامًـا، لا يسـتطيع التَّنفُّس، تضـغط علـى وجهـه الصَّـغير

بعنفٍ شديدٍ، سمعتْ طقطقة عظامٍ انكسرتْ، لَكِنَّهَا تابعتْ خنقه بالوسادة بلا رحمةٍ. لقد انقطعتْ أنفاسه بالمرَّة منذ دقائق مضتْ، ما زالتْ تكبس على أنفاسه لأكثر من عشر دقائق، تُزيل الوسادة ببطءٍ فأبعدتها عن وجهه الأزرق، يداها ترتجفان وعيناها منطفئتين، سقطتْ أرضًا تزحف بيديها، فأدركتْ ما فعلته، فألقتْ بالوسادة جانبًا، تقف بغير ثباتٍ تركض بانحناءٍ، تمسك طرف الباب تنظر خلفها برعبٍ، تستمرُّ في الرَّكض وتتعثَّر لتصل لغرفتها، أقفلتْ باب غرفتها بالمفتاح، اتكأت على الباب ويداها تنتفان شعر رأسها بعنفٍ، ترتجف كطائرٍ مذعورٍ، استلقتْ في وضعيَّة الجنين، ويداها على رأسها، ترتجف شفتاها، يهتزُّ جسدها بلا توقُّفٍ، تسمع صراخًا، إنَّه بكاء عماد، تقفل أذنيها في رعبٍ، يتراءى لها الرَّضيع أمام ناظريها يصرخ بصوتٍ عالٍ، هي الوحيدة القادرة على رؤيته وسماعه، لقد فقدتْ صوابها.

لقد أنهتْ استحمامها، تحسُّ بانتعاشٍ أراحتْ ذهنها، فثقل كلمة عاقر قد خفُتَ قليلًا، يجب أن تحمد الله وتشكره على عماد، فهو نعمةٌ ورزقٌ، فَلِمَ الطَّمع؟ تذكَّرتْ ضُرَّتها ندى، أحسَّتْ بغصَّةٍ في قلبها، أحسَّتْ بالذَّنب لمعاملتها الوقحة لها،

فكلمة عاقر أشدُّ وطأة من كلمة عانس، قرَّرت إعادة النَّظر في تعاملها مع ندى، فعماد طفل الأسرة كلِّها، ستربّيه رفقة ندى، سيكون لعماد أُمَّان، ابتسمتْ للحظةٍ، ستحمل ابنها عماد لتقدِّمه لضرَّتها طالبةً الصَّفح منها، ليتقاسما معًا عبء تربيته ويدلِّلانه، قلب ندى كبيرٌ فكيف لامرأة مثلها أن تطلب من زوجها الزَّواج بأخرى؟ وكلُّ هذا في سبيل اسم العائلة. لقد اغترَّتْ بزواجها وإنجابها كثيرًا، والآن يجب أن تتحلَّى بالكرم وبقلبٍ واسعٍ كندى .

بلباسها الطَّويل المزركش الأسود تقترب من سرير ابنها، لاحظت الوسادة ملقاةً على الأرض، لَكِنَّهَا لَمْ تُعِرْهَا اهتمامًا، تطلُّ على السَّرير وإذا بها تصدم من لون وجه عماد الأزرق؛ لا يتنفَّس لا يتحرَّك، قفصه الصَّدريُّ الصَّغير لا يرتفع ولا ينخفض، حملته ويداها ترتجفان، رقبته مرتخية، إنَّها منكسرةٌ، عيناها تدمعان وشفتاها ترتجفان، ابنها جثَّة هامدة، تجلس ببطءٍ وبين ذراعيها عماد، تبكي بحرقةٍ بنفسٍ مكتومٍ، تلامس وجهه الصَّغير قائلةً: عماد! حبيبي، استيقظ، ماما هنا، أرجوك يا فلذة كبدي. تُقبِّلُ جبينه بحرارةٍ لتضعه بين ركبتيها، أرادت الصُّراخ، لكنها لم تستطع، فبالكاد تخرج الحروف من فمها، تضرب

وجهها بقوَّةٍ، تورَّم خداها، تنادي بصوتها المكتوم ابني! ابني! عماد! يا عماد! يا فلذة كبدي! لقد مات الرَّضيع.

ممدوح غائبٌ عن الدُّنيا، يرده اتِّصالٌ متكرّرٌ لَكِنَّه لا يجيب، وأخيرًا، قرَّر أن يردَّ، ليسمع أفجع خبرٍ في حياته، وليُّ عهده قد فارق الحياة..... فأسقط هاتفه من هول الصَّدمة ليقف مندهشًا..... لقد خسر كلَّ شيءٍ.

لن تشرق شمسها أبَداً

لقد خرجتْ إلى النُّور أخيرًا صارخةً بصوتها الأنثويَّ، بين يدي القابلة تصرخُ ووجهها الصَّغير محمرٌّ، جسدها الهزيل مغطّىً بماء المشيمة، حبلها السُّري ملتصقٌ بها، ها هو قد بُتِر لتُطرد من رحم أمِّها الآمن بعد إقامةٍ دامتْ تسعة أشهرٍ. لقد تمَّتِ الولادة على خيرٍ، فالمولودة وأمُّها بصحَّةٍ جيّدةٍ.

حان وقت رضاعة البنت لأوَّل مرَّةٍ، لتشرب حليب أُمَّها، لتتواصل من جديدٍ معها، لكنَّ الأمَّ رفضتْ ذلك بشدَّةٍ، فالأمر لم يتوقَّف عند هذا الحدَّ، فلقد أبتِ الأمُّ رُؤية ابنتها حديثة الولادة.

رجعتِ القابلة بالبنت تحاول تهدئتها لكن دون جدوى، فصراخها أزعج الآخرين بشدَّةٍ، تبكي بحرقةٍ فخلدتْ للنَّوم من شدَّة التَّعب صراخًا. دخلتِ القابلة غرفة الأمِّ لتقنعها بإرضاعها

فالبنت صغيرةٌ ضعيفةٌ لا حول لها ولا قوَّة، لا حياة لمن تنادي، فالأمُّ غائبةٌ عن الوعي رغم حضورها، فلا وجود لردَّة فعلٍ ولا خوفٍ ولا لهفةٍ تجاه ابنتها.

خرجتِ القابلة لتسأل عن عائلتها، لا أحد موجود لينتظرها... لا أحد.

هرعتْ إحدى الممرِّضات مناديةً القابلة بأَنَّ الرَّضيعة تبكي جوعًا، أعادتِ القابلة المحاولة رفقة الطَّبيب المشرف عليها لإقناعها، لكن لا جدوى من ذلك، فما زالتِ الأمُّ عازفةً عن إرضاع ابنتها.

الحلُّ الوحيد؛ هو طلب ذلك الأمر من مرضعةٍ في نفس الجناح، ولقد نجح الأمر، لقد نالتِ الرَّضيعة مجهولة الاسم حصَّتها الأولى من الحليب، فنامت وهي شبعانةٌ.

ها قد أتى الأب صارخًا يصبُّ غضبه في وجه السكرتيرات العاملات في جناح الاستقبال، أين زوجتي؟ فسألته إحداهنَّ ما اسمها؟ فزوَّدهن بالمعلومات الضَّروريَّة والإجراءات القانونيَّة.

فأخبرنه أَنَّهَا بصحَّةٍ جيَّدةٍ، فقاطعهنَّ سائلًا بتعصُّبٍ وشرارات الغضب تتطاير من عينيه: هل المولود بنت؟

فأجابته إحداهنَّ: نعَّم وإِنَّهَا...

فقاطعها قائلًا: دُلَّيني على رقم الغرفة.

دخل رفقة القابلة ولم ينبس بكلمةٍ واحدةٍ، رغم ما سردته له من أحداثٍ تخصُّ زوجته ومولودتهما. لكنَّه كالصَّنم لم يجب وكأَنَّه بلا وعيٍ، مُخدَّرٌ منعزلٌ عن العالم.

ولج الغرفة، ففوجئت المرأة برؤيته، ففزعتْ ولم تنطق بكلمةٍ، لم يسأل عنها ولا عن ابنته قط، تأفَّف وقلب شفتيه متذمِّرًا، فهمَّ بالخروج مسرعًا مهرولًا متعصَّبًا، لقد بدا الرُّعب في عينيها، فاختبأتْ داخل فراشها خوفًا.

لقد حان موعد خروجها من المستشفى رفقة ابنتها التي أَبَتْ حملها، فحملها والدها غصبًا.

طول الطَّريق لم ينبس أحدهما بكلمةٍ واحدةٍ، في سريرها الصَّغير المحمول، تنام الرَّضيعة بسلامٍ تامٍّ على المقاعد الخلفيَّة

للسَّيَّارة، بينما والداها احتلَّا المقعدين الأماميْن، جالسين غير مباليين بوجود كائنٍ بشريٍّ صغيرٍ خلفهما.

لم تكن هناك زغاريد أو ابتساماتٌ، ولم يكن هناك استقبالٌ لهم في بيت الجدِّ الأكبر، فلم يكونوا مُرَحَّبٌ بهم أبَدًا.

كانت الوجوه مكفهرَّةً عبوسةً، كأنَّهُمْ في عزاءٍ، الأب يحمل سرير ابنته الرَّضيعة ذات الوجه الملائكيّ، ملامحها الصَّغيرة دافئةٌ رقيقةٌ، نائمةٌ في هدوءٍ واطمئنانٍ، ترتدي ملابسها الورديَّة اللَّون، المهداة لها من طرف مرضعتها الأولى.

تقدَّم الجدُّ الأكبر فبصق أرضًا ساخطًا، قائلًا: يجب على العار أن يُغسل. فطأطأ والدها رأسه إيجابًا.

أمُّها غائبةٌ عن الوعي وكأنَّها مرفوعةٌ من هذه الدُّنيا. أهو اكتئاب ما بعد الولادة يا تُرى؟ ضرب الجدُّ كتف الأب الغاضب الحزين بقوَّةٍ حتَّى كاد أن ينخلع كتفه من مكانه، فاقترب هامسًا في أذنه: اغسل عارك.

شدَّ قبضة يده على سرير الرَّضيعة، أهو امتثالٌ لأوامر والده أم تمرُّدٌ؟

يمشي الجدُّ الكبير متَّكئًا على عصاه بقوَّةٍ، مصدرًا صوتًا قويًا دالًّا على الحكم والسَّيطرة التَّامة على الكُلِّ. الأب خلفه يتبعه حاملًا ابنته، وسائر أفراد الأسرة تلحقه تباعًا ما عدا أمَّها، فقد ظلَّتْ واقفةً كالصَّنم بلا حراكٍ، لَمْ يأبه أحدٌ بها.

الكُلُّ متوجِّهٌ للحديقة السِّرِّيَّة، يتمتمون بكلماتٍ غير مفهومةٍ، يلبسون ملابسًا سوداء، وجوههم يسودها السُّخط والغضب العارم، يقودهم الجدُّ الأكبر يليه ابنه حاملًا حفيدته، ها قد أشار الجدُّ بعينيه للمعول والأرض آمرًا ابنه الشُّروع في الحفر، انحنى الأب ليضع سرير ابنته المحمول جانبًا ليشرع في الحفر، صوت الارتطام يزداد شيئًا فشيئًا، تزداد الحفرة اتساعًا والأتربة تلقى على جانبيها، قطرات العرق تتساقط من جبينه فيمسحها بساعده المُتَّسِخ بالأتربة. ضرب الجدُّ الأرض بعكازه معلنًا بذلك التَّوقُّف عن الحفر، تقدَّم للأمام ليعاين عمق الحفرة فحرَّك رأسه يمينًا تجاه الرَّضيعة ليحرِّك رأسه بذلك نحو الحفرة. تقدَّم الأب نحو ابنته فوجدها تلمحه بنظراتٍ طفوليَّةٍ ملائكيَّةٍ، حملها بين يديه وكَأَنَّ على عينيه غشاوةٌ، ترفع يديها الصَّغيرتين عاليًا فتعبث بلحية والدها، لم يكترث، فحملها عاليًا باسطًا ذراعيه للأعلى صارخًا: سأغسل عار العائلة، فالبنت عارٌ

وخطيئةٌ لا تُغتفر، انتفضت الرَّضيعة فزعًا، فأجهشتْ بالبكاء بصوتٍ عالٍ.

صرخت الأصوات قائلةً اغسل العار! اغسل العار! اغسل العار !

ضرب الجدُّ عكَّازه على الأرض معلنًا بداية الحكم، انحنى الأب واضعًا ابنته الباكية في الحفرة.

وها هو الآن يلقي بالأتربة عليها، ملابسها الورديَّة تتَّسخ، تُحرَّك قدميها ويديها الصَّغيرتين بسرعةٍ، معلنةً رفضها للوضع وتشبُّثها بالحياة، لكنَّها مجرَّد رضيعةٍ صغيرةٍ عمرها فقط ثلاثة أيَّامٍ، إنَّها فزعة تبكي بحرقةٍ بلا انقطاعٍ، وجهها يحمرُّ من شدَّة الصُّراخ، صوتها ينقطع تارةً ويتواصل مرَّةً أخرى، حركتها تقلُّ فالأتربة تشلُّ حركتها، صوتها يختنق بالغبار، لون وجهها صار أزرق اللون، انقطع صوتها، ومن ثمَّ؛ انحبستْ أنفاسها، لقد أغلقت عينيها للأبد، إنَّهَا لفي ظلامٍ دامسٍ.

فقدان الأمل

دماءٌ متناثرَةٌ في الأرجاء، ترتجف كطائرٍ مذعورٍ والدِّماء تخرج من فمها، عيناها ترى كُلَّ شيءٍ ضبابيًّا، أبسبب فقدانها لنظارتها؟ أصواتٌ غير مفهومةٍ، لا تستطيع تمييز ما يقال، لا تستطيع الحراك، بالكاد ترفع رأسها قليلًا ولا تستطيع، فرقبتها لا تسعفها، تحسُّ بوخزٍ شديدٍ في أحشائها، انغرس جسدها الهزيل في الحائط، ذراعها الأيمن يلوّح طلبًا للمساعدة، معلنًا عن الحياة، تريد الخروج من هذا الوضع الكارثيّ، عيناها تجوبان المكان سعيًا لطلب المساعدة، عيناها ممتلئتان بدموعٍ خرجتْ بتلقائيَّةٍ معلنةً عن الآلام التي ألَّمت بها، لا تستطيع النُّطق، فأنفاسها تنقطع رويدًا رويدًا، عيناها تلمحان انعكاس أضواءٍ خفيفةٍ، لا تعرف ماهيتها لكنَّها أدركتْ أنَّها كاميرات الهواتف النَّقالة، زاد وجهها شحوبًا، ازرقَّتْ شفتاها، تتنفَّس بصعوبةٍ بالغةٍ، فقفصها الصَّدريُّ متكسِّرٌ، عظامه كسُّيوفٍ انغرستْ

فيها، دموعها منهمرةٌ بغزارةٍ، جسدها الهزيل يكافح بصعوبةٍ فهو سجينٌ، ما بين الحائط ومقدِّمة الشَّاحنة. السَّائق مندهشٌ، أصابه خدرٌ في جسده، لا يستطيع تحريك جسده، كأنَّ الشَّلل قد سيطر عليه كُلِّيًّا، اصفرَّ وجهه، وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما، أهو في حلمٍ أم كابوسٍ؟ يسمع صراخ بعض النَّاس عليه، وبعضهم يضرب جنبات الشَّاحنة طالبين منه التَّراجع للخلف، لا يسمع شيئًا، فقط يرى أفواهًا تتحرَّك، ونظرات رعبٍ وغضبٍ، كُلُّ ما يسمعه الآن، فقط صوت رئيسه الصَّارخ في وجهه وشرارات الغضب تتطاير من عينيه قائلًا له: يجب أن تصل الحمولة في الوقت وحالًا.

ينظر يمينًا ويسارًا، تجمهر النَّاس من حوله، يلتقطون الصُّور له وللحادثة برمَّتها، بعضهم يتكلَّم في الهاتف بارتباكٍ وهلعٍ وآخرون فقدوا وعيهم، أمَّا الآخرون فقد أصابهم القيء. تجرَّأ أحدهم فاتحًا باب الشَّاحنة مخاطبًا السَّائق الغائب عن الوعي رغم حضوره: أبعد الشَّاحنة عن الفتاة! أبعدها! ما بك؟ هيَّا! تحرَّكْ.

لكنَّه متسمِّرٌ في مكانه مذهولٌ، لا يستجيب للأمر. نادى الرَّجل أحد الرِّجال لمساعدته في إنزال السَّائق من شاحنته، لقد تمَّ الأمر بعد جهدٍ كبيرٍ، أنزلاه بعيدًا عن الحادثة وأجلساه في المقهى المجاور ليحرسه صاحب المقهى، في تلك الأثناء صعد أحدهم الشَّاحنة ليبعدها عن الفتاة، سقطتِ الشَّابة أرضًا رويدًا رويدًا، ببطءٍ شديدٍ وما زالتْ ملتصقةً بالجدار والدِّماء تخطُّ مسارها عليه. دماؤها امتزجتْ بمربَّعات فستانها ذي اللَّون الأحمر.. صفَّارات الإسعاف قادمةٌ من بعيدٍ، تلحقها سيَّارة الشُّرطة، تُحرِّكُ أصابع يدها اليمنى ببطءٍ، عيناها فارغتان لا حياة فيهما، فأنفاسها انقطعتْ.

إنَّه يوم إعلان النَّتائج النِّهائيَّة لولوج مهنة التَّدريس، ذهبتْ كي تطَّلع عليها بالخارج، فشبكة الإنترنت في المنزل منقطعة بسبب تراكم فواتير الدَّفع، مرتديةً لباسها الأبيض المزركش بمربَّعاتٍ حمراء، تلبس حذاءها الأسود البرَّاق، فقد صبغته آخر مرَّةٍ لتذهب به أثناء اجتيازها الامتحان الشَّفهيّ لتصبح مدرِّسةً، نبضات قلبها متسارعةٌ وخطواتها سريعةٌ مرتبكةٌ للغاية، فتلك آخر فرصةٍ لها، لقد تقدَّمتْ في السِّن وكلَّما تقدَّم الإنسان بالسِّن قَلَّتْ فرص حصوله على الوظيفة، فلكلِّ ميدانٍ عتبةٌ

عمريَّةٌ محدَّدةٌ، وهذه السَّنة ستكون آخر سنةٍ تستطيع فيها اجتياز ذاك الامتحان، لم يكن لها خيارٌ آخر غيره، فهو الوحيد المتبقِّي لها، كُلُّ محاولاتها في اجتيازه باءتْ بالفشل الذريع. لكن ما زال هناك بصيصٌ من الأمل، في مكانٍ ما، لا تجد اسمها بين النَّاجحين، قرأتْ اللَّائحة الطَّويلة عدَّة مرَّاتٍ، فحتى لائحة الانتظار لا مكان لاسمها فيها. دفعت الدُّريهماتِ القليلة التي كانتْ تملكها لصاحب المحل، فخرجتْ بحزنٍ كبيرٍ، غير منتبهةٍ لنسيانها لنظَّارتها هناك فوق الطَّاولة؛ إنَّها تمشي بلا وعيٍ وبلا انتباهٍ، ترى العالم ضيِّقًا كسجنٍ، حُبس فيه مستقبلها وحكم على أملها بالإعدام.

لقد كره حياة العبوديَّة تلك، لطالما تمنَّى موت رئيسه كُلَّ ليلةٍ، لكنَّه يستقبل صباحه بالسَّب والشَّتم واللَّعنات من رئيسه، رئيسٌ متسلِّطٌ وسليط اللِّسان، يحسب نفسه مالكًا للدُّنيا وما فيها، يعدّ النُّقود في كُلِّ حمولةٍ صباحًا ومساءً، لا يملُّ ولا يتعبُ، يكنز الأموال في البنوك ويفتح فروعًا جديدةً تخصُّ النَّقل، يفتح أبوابه للطَّبقة الفقيرة ليس حبًّا للخير، بل للسَّيطرة التَّامة عليهم، فكلَّما زاد من أجرة أحدهم إلَّا وزاد من ساعات عمله، يريد أن يستقيل من هذا العمل المجهد، فلقد وجد عملًا مناسبًا

لا جهد فيه ولا تعب والمعاملة فيه بالحسنى، فرحَ بذلك، وأخيرًا سيرتاح ولو قليلًا، فحمل البضاعة وحسابها وترتيبها ثمَّ نقلها لأمر مرهق، لقد أحضر ورقة استقالته وسيقدِّمها لرئيسه حالًا، لقد نسيها في منزله اليوم، فما هذا الحظُّ العاثر؟

لكنَّه تقدَّم وأخبر رئيسه برغبته في ترك العمل، حرَّك الرَّئيس رأسه، فتبعه ليدلف مكتبه. جلس في مكتبه متعاليًا، فأخبره بأنَّ ذلك أمر مستحيل، رفع حاجبيه متعجِّبًا سائلًا: لم أفهم يا حضرة الرَّئيس؟

اتَّكأ على مكتبه بثباتٍ، فتح خزينته، فأخرج ملفًّا، يبحث بين أوراقه، يتصفَّحها واحدةً تلو الأخرى، فقرَّب الملفَّ لسمير مشيرًا بإصبعه لجملةٍ مكتوبةٍ بخطٍّ صغيرٍ، مفادها لا يحقُّ للموظف أو العامل ترك عمله بأيّة طريقةٍ كانتْ، استقالةً، غيابًا غير مبرَّرٍ، حتى يُتِمَّ – على الأقلِّ – سنةً كاملةً في العمل، وأنزل إصبعه أسفل الورقة مشيرًا لتوقيع سمير وختم الشَّركة جانبه. قرأها سمير والدَّهشة مرتسمةٌ على ملامحه، لَمْ يستطع قول شيءٍ فتمتم بكلماتٍ. فنطق الرَّئيس: تكلَّم بصوتٍ عالٍ قليلًا فأنا لا أسمعك (يشير بيده للأعلى). لم يجرؤ سمير على قول شيءٍ.

ضرب الرَّئيس مكتبه بقبضة يده، فاهتزَّ كُلُّ ما هو عليه لتهتزَّ روح سمير، صرخ عاليًا: هناك حمولة، يجب أن تصل الحمولة في الوقت حالًا. هيَّا! انصرف.

ذهب مطأطئًا رأسه، فأجاب بصوتٍ خافتٍ: نعم يا رئيس. أغلق الباب خلفه، فقد أغلقتْ في وجهه أبواب الأمل.

انطلق بالشَّاحنة بعد تزويدها بالحمولة، وحساب الكمِّيَّة المرسلة وإمضاء بعض الأوراق المتعلِّقة بالشَّحن، يقود الشَّاحنة بسخطٍ وتذمُّرٍ شديدٍ، يكره هذا العمل بشدَّةٍ، فكم بقي له من أشهر كي يصبر أكثر؟ فمن يستطيع تحمُّل الذُّلّ والإهانات في كلِّ لحظةٍ؟ متى سينتهي ذلك العقد؟

شاردٌ في همومه، لا يعرف كيف عبر كلَّ تلك المسافة، حاضرٌ غائبٌ في ذات الوقت، يظهر كلبٌ ضالٌّ أمامه فجأةً يحاول تجنُّبه، لكنَّه تمادى كثيرًا فانعطف بشدَّةٍ ليتجاوز الرَّصيف فيصطدم بها....

كانتْ تمشي على الرَّصيف وتنظر للأسفل، لقد خسرتْ أملها الوحيد في الحياة، خسرت حلمها كمدرِّسةٍ، لم تعتد على

أمر الخسارة بعد، تسمع بوق سيارة صارخًا، لكنَّها لم تركِّز جيِّدًا، فذهنها مشوَّشٌ؛ إنَّ نفسيَّتها محطَّمةٌ، لحظاتٌ قليلةٌ ووجدت نفسها محاصرةً، لتصدمها شاحنةٌ من الحجم الصَّغير.

ما زال سمير يرتجف، والشرطة تحقِّق معه داخل المقهى، غير مصدِّقٍ لما حدث معه اليوم. بينما سيَّارة الإسعاف تحمل الجثة لنقلها.

تحت الأنقاض

هناك شيءٌ ثقيلٌ يكبس على أنفاسها، لا تستطيع الحراك ولا حتى التَّململ، الغبار يجعلها تسعل، وكلَّما سعلتْ كلَّما زاد الألم، ألمٌ رهيبٌ لا يحتمل، كأنَّ المسامير تُغرس في قفصها الصَّدريّ. دموعها تنهمرُ كسيلٍ.

حان وقت نومها، بعد يومٍ شاقٍّ مرَّتْ به، ألقتْ بجسدها النَّحيل على سريرها، فاستلقتْ على ظهرها، إنَّها منهكةٌ فأغلقتْ عينيها بسرعةٍ، إنَّها نائمةٌ كطفلةٍ صغيرةٍ أُرْهِقَتْ من فرط الحركة، تتنفَّسُ برويَّةٍ وملامح وجهها المتعبة ترتخي، شعرها الأسود منسدلٌ على وسادتها، ذراعاها ممدودتان، ترى أصابع يديها مخدوشةً، بعض الضَّمادات تحيط بعضًا من أصابعها الرَّقيقة، فالجهد البدنيُّ الذي تبذله في عملها بادٍ عليها، إنَّها تقضي معظم الوقت كونها عاملة نظافةٍ بدوامٍ جزئيّ في إحدى الشَّركات. لم تتمكَّن من تناول وجبة العشاء هذه اللَّيلة، فضَّلَتْ الاسترخاء قليلًا فقط للحظاتٍ، لثوانٍ قليلةٍ، لكنَّها نامتْ

لساعاتٍ.. تحسُّ بسريرها يهتزُّ بقوَّةٍ، تسمع تكسُّر الأشياء تسمع زحزحة الأثاث بعنفٍ، يتحرَّك سريرها يمينًا ويسارًا، تتمسَّك بفراشها وذراعاها مبسوطتان، تضغط بقدميها الصَّغيرتين أسفل الفراش، وبيديها الصَّغيرتين تقبض جنبات الفراش، تتسارع نبضات قلبها لتتسارع بذلك أنفاسها، سمعتْ صراخ الجيران وبكاء الأطفال والرُّضَّع. التَّشقُّقات تغزو الجدران البالية، لقد انهارتِ الأرضيَّة ليتبعها السَّقف وتليها الجدران تباعًا، سريرها الخشبيُّ ابتلعته الأرض دفعةً واحدةً، ليتشوَّه شكله فيتهشَّم كلِّيًا، ضاغط على جسدها الهزيل بقوَّةٍ ليعتصره، فينكمش بين ثنايا الفراش ويُسجن بين الحجر الإسمنتيّ المحطَّم، لتهوي عليه أحجار السَّقف المنهار، صرختْ ألمًا، لَكِنَّ صوت ارتطام الحجر طغى، واجتاح المكان فلم تسمع الآذان غيره.

لا تستطيع الحراك، جسدها محاصرٌ من كُلِّ الجهات بالأحجار، خشبات السَّرير منغرسةٌ بجسدها، فترى الدِّماء تتسلَّل بين تشقُّقات الخشب المنكسر، تحسُّ بثقلٍ في صدرها، تتنفَّس بصعوبةٍ بالغةٍ، لقد أصبحتْ عمليَّة التَّنفُّس بحدِّ ذاتها أمرًا صعبًا، كلَّما سعلتْ أحسَّتْ بآلامٍ فظيعةٍ، فتتطاير قطرات دماءٍ من فمها، عيناها تفيضان دمعًا، الأتربة تتساقط بشكلٍ خفيفٍ

لتتجمع في محجريْ عينيها، فتخدش بؤبؤيْ عينيها، فزادها ألم عيونها دمعًا، القطع الخشبيَّة زُرعتْ في أنحاء جسدها الدَّامي، مرَّتْ ساعاتٌ طوالٌ كأنَّها قرونٌ، الآلام تزداد حدَّةً، لا منقذًا ولا مسعفًا أتى، عيناها مغمضتان والدَّمع يفيض من جنباتهما، ليشقَّ طريقه على خدودها ليلامس أذنيها، تشهق من شدَّة البكاء، فتتألَّم أكثر مع كُلِّ شهقةٍ، ما زالتْ على قيد الحياة بجسدها المتكسِّر بفضل الشُّقوق المتواجدة، تذكَّرتْ تذمُّرها من حياتها البائسة، فتمنَّتْ رجوع الزَّمن للوراء لتحمد الله وتشكره، فقد كانتْ تلك الحياة التَّعيسة نعمةً مقارنةً مع وضعها الآنِيّ، تمنَّتْ دومًا أن تترك حياتها تلك، لَكِنَّها لم تكن تتوقَّع أن تكون على هذا النَّحو، وضع لا يُحسَد المرء عليه أبَدًا، فلا أحد يتمنَّى أن يكون تحت الأنقاض عاجزًا، تحاول فتح عينيها لكنَّها لا تستطيع، فالدَّمع يغلب عليها، تسمع أصوات احتكاك قادمةً من الأعلى، لا تدري مصدرها ولا تدري ماهيتها، أتراها هزَّةٌ أرضيَّةٌ أخرى؟ أم هو انهيارٌ آخرٌ؟

في الأعلى، فرق الإنقاذ تجمَّعتْ، يحاولون إزالة الحجارة لانتشال الأحياء والأموات منهم، تضيق أنفاسها تتنفَّس ببطءٍ شديدٍ، فتسمع حشرجة من عنقها كالشَّخير، فعلًا وصلتْ

عمليَّة التَّنفُّس لأواخرها، تكاد تختنق... لقد وصل أحد رجال الإنقاذ لموقعها، يزيلون الحجارة من على وجهها المتورِّم، تملأه الأتربة الممتزجة بقطرات دمها المتناثر، تفتح عينيها قليلًا فرأتْ نورًا خفيفًا، نطق أحدهم: إنَّها على قيد الحياة، لكنَّ نجاتها شبه مستحيلةٍ.

لم تتبيَّنْ كلامه، تسمع فقط غمغماتٍ، ابتسمتْ نصف ابتسامةٍ لرؤيتها وجه أحدهم، وأخيرًا أتى أحدهم، وجدها أحدهم، لقد أتى أحدهم ليبحث عنها وسط كُلِّ هذه الفوضى، لقد كانتْ طوال حياتها وحيدةً، لا أحد يتذكَّرها، إنْ تذكَّرها أحدهم فذلك لمصلحةٍ معيَّنةٍ، فالدُّنيا مصالحٌ والمصالح متبادلةٌ، إنَّها سعيدةٌ رغم آلامها ستنجو، ستنجو هذا ما كانت تردِّده في أعماق عقلها، لم يطاوعها قلبها ولا جسدها لقد خذلاها، فكان آخر ما تراه عيناها وجهًا ضبابيًّا بخوذةٍ صفراء وملابس حمراء، لقد خانها جسدها... أغلقتْ عينيها بعفويَّةٍ وبثقلٍ، فصرخ المنقذ: آنستي لا تفقدي الوعي! آنستي! يا آنسة! فتابع كلامه: إنَّها تفقد الوعي... تلمَّس جهة أنفها وفمها، فلم يجد نفسًا واحدًا... فأعلن وفاتها قائلًا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

في غرفة الإنعاش

تصارع كوابيسها بكُلِّ قوَّةٍ، تحاول الاستيقاظ منه كي لا يغلبها النُّعاس.

حبيسةٌ في عالمٍ بعيدٍ كُلَّ البعد عن واقعها المعاش، عالمٌ سماؤه ناصعة البياض، هواؤه لطيفٌ، نسيمه عليلٌ، تحوم حولها الملائكة بأجنحةٍ شفَّافةٍ ، بأجسامها الصَّغيرة، عيناها كلآلئ مضيئةٍ برَّاقةٍ، وجوهها صغيرةٌ ذات ملامح بريئةٍ، تبتسمُ ببراءةٍ وتضحكُ بطريقةٍ أنثويَّةٍ جذَّابةٍ، تسحر العقل وتُبهر العين، لكن سرعان ما تغيَّرتْ نبرات الضَّحكات تلك لضحكاتٍ شرِّيرةٍ، لتتغيَّر ملامحها لملامح شيطانيَّةٍ فاسودَّتْ وجوهها، فأظهرتْ أنيابها وكشفتْ عن مخالبها لتقترب منها، لتَشُنَّ عليها هجومًا شرسًا مباغتًا، فالسَّماء الصَّافية تتلبَّد بالغيوم السَّوداء التي تتحرَّك بسرعةٍ، فتصبح فيما بعد سوداء قاتمة اللَّون.

تحاول حماية نفسها من هجمات الشَّياطين المحلِّقة حولها، لكن دون جدوى، فأجنحتها تنفثُ أبخرةً سامَّةً، وأصوات قَهْقَهَاتِهَا عاليةٌ تطرش الآذان، تَسُدُّ أذنيها معًا بإصبعي سبَّابتيها، لكنَّ الأصوات الصاخبةَ تسبَّبَتْ في إتلاف طبلتيْ أذنيها، صداعٌ رهيبٌ، ألمَّ برأسها، يكاد رأسها أن ينفجر، إنَّهَا تغيب عن الوعي من شدَّة الألم، إنَّها تفقد التَّركيز رويدًا رويدًا ... تحاول التَّملُّص منهنَّ، فتحارب بِكُلِّ قوَّةٍ كي لا تغيب عن الوعي ... إنَّها تكافح حقًّا.

في غرفة الإنعاش ما زالتْ هي في غيبوبةٍ ظاهريًّا، إنَّها ما بين الحياة والموت، خطوةٌ واحدةٌ للأمام ستنجو، بينما خطوةٌ واحدةٌ للخلف ستقتلها حتمًا، رأسها ملفوفٌ بضماداتٍ كثيرةٍ، يصير لونها أحمر قليلًا، شيئًا فشيئًا تتسرَّب الدِّماء لتغزو الضِّمادات معلنةً التَّمرُّد، فلا شيء يوقفها، فالإصابات بليغةٌ على مستوى الرَّأس، والرُّضوض كانتْ قويَّةً، والجراح عميقةٌ مع تشقُّقاتٍ على مستوى الجمجمة، إنَّ وضعها صعبٌ للغاية، الدِّماء تنطلق من أذنيها لتشقَّ طريقها على جنبات عنقها الأبيض، ولقد استقرَّت على جنبات المخدَّة البيضاء دموعٌ تنزل من طرفي

عينيها المُغْمَضّتينِ، إنَّها الدَّليل القاطع على المعاناة، تنفُّسها يتباطأ، مؤشِّراتها الحيويَّة في تراجعٍ، نبضات قلبها تنخفض ...

ما زالتْ تُكافح داخليًا، ما زالتْ تتمسَّك بالحياة ولو كان طرف خيطٍ رقيقٍ، فهي ما زالتْ متمسِّكةً به، لقد باءتْ كُلُّ محاولاتها بالفشل الذَّريع، لقد فازتْ الشَّياطين، إنَّها تمتصُّ روحها بعنفٍ، عيناها تغلقان ببطءٍ شديدٍ، يغلبها نومٌ غريبٌ، كأنَّها مخدَّرةٌ.. فكان آخر ما رأته عيناها وجوهًا شيطانيَّةً قذرةً تسلبها روحها الثَّمينة.

جهاز نبضات القلب رنَّ معلنًا وفاتها، فمؤشِّراتها الحيويَّة انخفضتْ بسرعة البرق، أسرع الطَّبيب المشرف رفقة طاقمه، محاولًا إنعاشها، لكن بلا فائدة، فمنحنى خطِّ نبضها مستقيمٌ لم يتحرَّك، أعلن الطَّبيب وفاتها وأرَّخه في سجلها.

لقد كان حادثًا مروِّعًا أذهب عقلها وأزهق روحها بعذابٍ مريرٍ ومعاناةٍ شديدةٍ دامتْ شهرًا كاملًا.

لقد عانتْ كثيرًا في غيبوبتها، ولم يشعر بألمها أحدٌ... فلقد كانتْ حالتها حرجةً ظاهريًا وباطنيًّا.

ذهابٌ بلا عودة

لَمْ يتوقَّع أحدٌ فوزها بالقرعة، لقد كانتْ صدمةً لِلْكُلِّ، فكيف لابنة عامل النَّظافة أَنْ يقع عليها الاختيار؟ إنَّ هذا لأمرٌ مستحيلٌ، لِمَ اختيرتْ؟ وعلى أَيِّ أساسٍ تَمَّ انتقاؤها من بين الآلاف من المترشِّحين؟ إنَّها ابنة زبَّال الحي، هكذا يلقِّبونها، لا اسم لها غيره، هناك خطبٌ ما بالطَّبع، ربَّما خطأٌ أو ربَّما حسن حظِّها، كيف لفتاةٍ مثلها أَنْ تطأَ رجلاها أمريكا؟

كيف؟ كيف؟ كيف لها أن تغادر البلاد؟ كيف لها أن تَفْلِتَ من سلاسل الفقر الأبديَّة؟ كيف لها أن تنجو من الغرق فقرًا؟ لقد كانتْ تلك الهمسات الصَّارخة كافيةً لولوج سمعها، أُنَاسٌ كُثُرٌ يتحدَّثون فيما بينهم همسًا، يشيرون بأصابعهم قائلين: إنَّها ابنة زبَّال المدينة، صاحبة اليانصيب الأمريكي. يرمقونها بنظرات اشمئزازٍ، غيرةً وحسدًا، يتحدَّثون همسًا وجهرًا، يتحدَّثون سِرًّا وعلانيَّةً، ينشرون عنها شائعاتٍ، يتحدثُّون عن عِرضِها وشرفها،

لا يسكتون أبَدًا يُتمتمون، يسخرون منها يغارون ويحسدون، لن تكفَّ أفواههم عن الثَّرثرة، فالميّت لم يسلم من كلامهم اللَّاذع، إنَّهم أفاعٍ سَامَّةٌ تغيّر جلدها.

يختبئون كالحرباء يراقبون كالمفترسات، إنَّهم كالحمام الزَّاجل، إنَّهم المخابرات السِّريَّة، لا ينفكُّون عن القيل والقال، فلا شيء يمنعهم من ذلك، فلا وجود لقانونٍ يُخرس ألسنتهم الطَّويلة.

لقد نجحتْ في قرعة أمريكا وستغادر البلد بعد شهرٍ، ستغادر أهلها وأحبَّتها، فحبيبها واحدٌ، إنَّه معيلها الوحيد، سندها في هذه الحياة، غادرتها والدتها منذ عشر سنواتٍ، إنَّها ترقد في سلامٍ فلا ثرثرة بين الأموات، لقدِ ارتاحتْ من القيل والقال، والدها المكافح رغم كبر سنِّه ما زال يكافح، لقد أكل الظَّهر صحَّته، فقد صار عجوزًا لا يقوى على فعل شيءٍ كما كان من قبل، إنَّهُ بالكاد يكابر كي ينجز عمل يومه كاملًا، فعمله شاقٌّ مُتْعبٌ، بالكاد يستطيع كنس جنبات الطُّرقات العموميَّة حاليًا، فلم يعد قادرًا على حمل أكياس القمامة ولا على قيادة الشَّاحنة المتخصِّصة في نقل القمامة. لقد انقضتْ أيَّام شبابه ليعيش حياته كعجوزٍ.

حتَّى أَنَّه لا طاقة له ليكون ضمن فريق إعادة تدوير القمامة وفرزها، فصحَّته لا تسمح بذلك.

لذا؛ فكان العمل الوحيد القادر على إنجازه نوعًا ما، هو كنس جنبات الطُّرق العموميَّة وإزالة القمامة من عليها. فهذا أقلُّ ما يمكنه فعله حاليًا، فصحَّته لا تسمح بغير ذلك حاليًا. فجيل اليوم من عمَّال النَّظافة يتجنَّبون كنس الشَّوارع حفاظًا على كرامتهم من القيل والقال.

اطمأنَّ قلبه الآن، مستقبل ابنته الوحيدة آمنٌ، ستعيش حياتها بأملٍ، إن أتاه ملك الموت فليأت إذن، فهو مرتاحٌ، يبتسم باطمئنانٍ واعتزازٍ وفخرٍ، فابنته مصدر الكرامة.

لقد أنهتْ تحضيراتها، من حقيبة أدويةٍ ومستلزماتٍ، وضعتها جانبًا حتى يحين الوقت، وقت التَّحليق عاليًا لتترك الفقر، لتودِّعه بصفةٍ نهائيَّةٍ، بعد أعوامٍ قليلةٍ هناك ستأخذ والدها معها كي يرتاح من التَّعب، لتعوِّضه عن أيَّام القهر والظُّلم، يا له من حلمٍ كان بعيدًا لكنَّه سيصبح قريبًا بعد أيَّامٍ، أو أشهرٍ، وبعدها سنواتٍ، فالأيَّام تجري بسرعة البرق، فبالأمس كانتْ مجرَّد طالبةٍ في الجامعة، والآن ستحلِّق لأمريكا.

تقبّل يد والدها كي تودّعه ككلِّ صباحٍ، احتضنها والدها والدُّموع انفلتتْ من عينيه، يُطبطب على ظهرها ملامسًا خصلات شعرها البنِّيّ الحريريّ، اغرورقتْ عيناها فقبَّلتْ جبين والدها قائلةً: أحبُّكَ يا أبي، لا داعي للبكاء، فما زالتْ بضعة أيَّامٍ كي أغادر البلاد.

طبطب الأب على كتفها قائلًا: بنيَّتي أنتِ نظري، فلتحافظي عليه.

أغلقتِ الباب، لتذهب في الصَّباح الباكر كعادتها، لا توجد مواصلات، والطَّريق خاليةٌ ، والسَّماء مظلمةٌ، فلم تُشرق الشَّمس بعد، تنتظر ركوب أوَّل حافلةٍ قادمةٍ من مرآب الشَّركة، لقد تأخَّرتِ الحافلة على غير العادة، هل هناك خطبٌ ما يا ترى؟ هل تعطَّلتِ الحافلة في طريقها؟ فالأعطاب كثُرتْ في الآونة الأخيرة، هذا ما كان يجول في ذهنها .

تلمحُ أحدهم خارجًا من الزُّقاق المظلم، متَّكئًا على الحائط يمشي بصعوبةٍ، فجأة سقط أرضًا. ركضتْ بسرعةٍ كي تقدِّم يد العون، لعلَّ مستوى السُّكَّر انخفض عنده، فهذا أوَّلُ ما خطر ببالها، فوالدها مصابٌ بداء السُّكَّريّ وتصيبه مثل هذه النَّوبات

المفاجئة أحيانًا، تحاول أن ترفعه من الأرض، لكنَّها لم تستطع ذلك، التفتتْ للحظةٍ كي تُخرج قطعة الحلوى من حقيبتها، لكِنَّها كانتِ التفاتتها الأخيرة، فقد انقضَّ عليها الرَّجل بقوَّةٍ، أقفل فمها وأنفها بمنديلٍ، ترفع يديها لتصل إلى يديه كي تبعدهما عن وجهها، لم تستطع؛ فقبضته قويَّةٌ للغاية، وبنيته الجسديَّة قويَّةٌ رغم نحافة جسمه، تُحرِّكُ قدميها أرضًا، فتتطاير الأتربة، اتَّسخ سرواله، تمزَّقتْ بعض جنباته من شدَّة الاحتكاك بالأرض، لم يُفلِتْ قبضته بعد، لقد خارتْ قواها، فتسقط ذراعها وتتوقَّف عن المقاومة، لقد نجح في عمليَّة اصطياده للضَّحيَّة الرَّابعة.

لقد انقضى اليوم بطوله، والشَّمس قد غابتْ، لم تعد أمل بعدُ إلى المنزل، ولم تُجب على اتِّصالات والدها المتتالية أبَدًا.... لقد حلَّ اللَّيل ولم تعد بعد.

حزم أمتعته القليلة من أوراق ثبوت هوِيَّةٍ وصورةٍ لابنته، قاصدًا مركز الشُّرطة ليقدِّم بلاغًا، لم ينم تلك اللَّيلة، لقد غفا قليلًا فقط.

مرَّتْ أيَّامٌ، فلم يأته خبرٌ يقينٌ يطمْئنُ قلبه عنها، قصد عمله بعد غيابٍ دام لعدَّة أيَّامٍ، فقد قدَّم إجازةً مطوَّلةً لكنَّ مدَّتها قد انتهتْ، قدَّم إجازةً مرضيَّةً كذلك.... لم يترك مكانًا إلَّا وبحث فيه.. أفواه النَّاس انطلقت بأكبر شائعة؛ مفادُها أنَّ ابنة الزَّبال هربتْ مع عشيقها تاركةً أباها، فمن سيهتمُّ بزبَّالٍ، إنَّه العار بعينه.

لقد زادته كلمات النَّاس ألمًا بعد ألمٍ، فألسنة النَّاس لا ترحم، مرَّتْ تلك الأيَّام طويلةً بلياليها ونهارها، ها هو الآن يكنس جنبات الطَّريق لزقاقٍ بعيدٍ عن مركز المدينة، فسكَّان ذاك الحيِّ معروفون بسوء أخلاقهم، إنَّه حيٌّ حقيرٌ كما يطلق عليه سكَّان الأحياء الأخرى اسمه حيِّ المافيا، قنّيناتٌ زجاجيَّةٌ هنا وهناك، علبٌ كرتونيَّةٌ هنا وهناك مبعثرةٌ على جنبات الرَّصيف، أكياسُ قمامةٍ مفتوحةٍ ملقاة بعشوائيَّةٍ، قططٌ تركض هربًا ببقايا طعامٍ، الوضع رهيبٌ في هذا الحيِّ، كأنَّ حربًا اندلعتْ ليلًا، كلُّ من تهاون في عمله وكثُرتْ غياباته، يجد نفسه في هذا الحيِّ الثَّائر، ينظِّفه، ينحني ليحمل الأكياس المبعثرة فيلقيها في الحاوية، يجد كلابًا تتشاجر بعيدًا حول كيس أسود كبيرٍ، ينبحون بقوَّةٍ، يلمح من بعيدٍ ذراعًا بشريَّةً يمسكون بها، اقترب راكضًا يلقي بحجارةٍ

عليهم، يقوم بتخويفهم بمكنسته الحديديَّة المسنَّنة، يضربها أرضًا محدثةً صوتًا مزعجًا، أيقظتْ أصحاب المنازل المجاورة، ليفتحوا نوافذهم وينهالوا عليه بالسَّب والشَّتم، فرَّت الكلاب هاربةً، لا يصدِّق ما تراه عيناه، إنَّها فعلًا يدٌ بشريَّةٌ ممزَّقةٌ، اقترب ليمعن النَّظر، سقط أرضًا صارخًا ابنتي ابنتي.... خرج بعضٌ من النَّاس ليلقِّنوه درسًا، ليفاجأوا بوجود أشلاءٍ بشريَّةٍ، تترأَّسها ذراعان بشريَّتان، لقد لمح خاتمها في بنصر يدها اليمنى، فتيقَّن أنَّها أمل، إنَّها ابنته، أغمي عليه من هول الصَّدمة. تجمَّع النَّاس مكوِّنين حلقةً ضخمةً، أتت الشُّرطة بعد نصف ساعةٍ لتحقِّق في الموضوع، لقد فارق الأب أمله في الحياة فصار جسمًا فارغًا من الرُّوح.

الوحش

بين ذراعيه ترتجفُ، والدِّماء تتناثر هنا وهناك، يحاولُ بجهده إيقاف النَّزيف، لكنَّ الجرح عميقٌ للغاية، فالإصابة كانت من الوريد إلى الوريد، جُلُّ خصلاتها الشّقراء تصبَّغتْ باللَّون الأحمر، لا يستوعب الأمر، فما زال في ذهولٍ، وملاكه يُحتضر بين ذراعيه.

لقد كانت فرحةً للغاية، فقد كان عيد مولدها المنتظر بفارغ الصَّبر، تزيَّنتْ وارتدتْ أبهى ملابسها. فكيف لها أَنْ لا تتأنّق في يومٍ خاصٍّ كهذا؟

شعرها مرفوعٌ للأعلى، إنَّها تسريحة ذيل الحصان المعروفة عند البنات، في أذنيها حلقان مستديران كبيرا الحجم، يلامسان جنبات رقبتها البيضاء بين الفينة والأخرى، لا تضع أَيَّ مسحوقٍ على وجهها النَّاصع البياض، فلون بشرتها الطَّبيعيُّ

كافٍ، فلا حاجة لملوَّنٍ صناعي، كُلُّ ما تضعه فقط مرطِّب شفاهٍ شفَّافٍ؛ مِمَّا زاد شفاهها الورديَّة اللَّون لمعانًا، وماسكارا خفيفةً ترفع رموشها الطَّبيعيَّة الطَّويلة فتزداد شموخًا. شعرها الأشقر بلونه الذَّهبيّ الطَّبيعيّ اللَّامع يجذب النَّاظرين إليها؛ اختلفت نَظرات البعض بين إعجابٍ وتأمُّلٍ، بين حسدٍ وغيرةٍ، أَمَّا البعض الآخر فيشيح بنظره بعيدًا، وفي قرارة أنفسهم ينكرون كون ذاك اللَّون طبيعيًّا، فالفتاة بشكلٍ عامٍ صارت مجرَّد كومة ماكياجٍ مبهرجٍ.

تنتظر سيَّارة الأجرة لدقائق، والآن صارتْ نصف ساعةٍ، سيَّارات الأجرة كلُّها ممتلئةٌ بالزَّبائن.. لقد سئمتْ الانتظار الذي زادها مللًا، فكفاها ما عانته من مللٍ في المتجر الكبير، تعبتْ من التَّسوُّق فرحلتْ سريعًا، لم تجد شيئًا يثير اهتمامها، فخرجتْ خالية الوفاض، تحمل حقيبة يدها، تحرِّكُ قدميها تعبيرًا عن مللها، تُخرج هاتفها المحمول من حقيبتها لتقتل به الوقت، تتصفَّح صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، فتبتسم مع كُلِّ تغريدةٍ تذكر عيد ميلادها.

يلمحها من بعيدٍ بعيني قنَّاصٍ، يراقبها منذ ما يزيد على الساعةٍ، يتابعها بعينيه، إنَّه يتتبَّعها، لقد درس الوضع الآن، حانتِ اللَّحظة الحاسمة إذن، يركب درَّاجته النَّاريَّة لينطلق بها، إنَّه كالطَّير الكاسر يتربَّصُ بضحيَّته لينقضَّ عليها، يمدُّ ذراعه بسرعةٍ ليجذب حقيبتها، إنَّها تحاول المقاومة ببسالةٍ، لكنَّه لم يفلت يده، أخبرها دعي الحقيبة حالًا، لم تمتثل للأمر، فزاد من حدَّته، جذبها بقوَّةٍ لتسقط أرضًا، لم ينل مراده بعد.

كانتْ عيناها مركزتين على تلك الشَّاشة المضيئة، كُلَّ ما تقرأه ينعكس على عدسة عينيها الزَّرقاء بشكلٍ مصغَّرٍ، فتبرق عيناها كلَّما رأتْ إشعارًا يتعلَّق بعيد ميلادها، ينعكس ضوء الهاتف على وجهها، فالشَّمس قد غربتْ منذ نصف ساعةٍ تقريبًا، تفاجأ بدرّاجةٍ ناريَّةٍ تعترضها، حاولتْ الرجوع للخلف قليلًا، لكنَّ يده طالتها لتمسك حقيبة يدها بعنفٍ، لم تتخلَّ عنها، إنَّها تقاوم بضراوةٍ، يسقط هاتفها أرضًا فشتَّت انتباهها، لتجد نفسها ملقاةً على الأرض، اقترب منها بدرَّاجته النَّاريَّة منحنيًا ليلتقط الحقيبة، تحاول الوصول لهاتفها زحفًا يلمحها، فيعود أدراجه ليسرق الهاتف، لم تتعلَّم الدَّرس بعد، تتمسَّك بهاتفها بشدَّةٍ، أخيرًا وقفتْ على قدميها بارتجافٍ تحاول الهرب،

يعترض سبيلها فيلتفُّ بدرَّاجته النَّاريَّة حولها، ارتبكتْ والذُّعر مرتسمٌ على وجهها، ها هو خلفها ليمسكها من شعرها يجرها إليه، يهمس في أذنها الهاتف، لا استجابة منها، يلامس رقبتها شيءٌ حادٌّ، يضغط على عنقها به، إنَّها ترتعدُ من الخوف تمدُّ يدها عاليًا لتعطيه الهاتف، الهاتف بحوزته الآن، لكنَّه لم يكتف بذلك، لقد خدش رقبتها البيضاء بجرحٍ سطحيٍّ، يرفع رأسها عاليًا بنظراتٍ حادَّةٍ يلمحها، يبتسم بسخريَّةٍ ووجهه مليءٌ بالنُّدوب، ليرفع أداته الحادَّة فينهال على وجهها ضربًا.... تشعرُ بشيءٍ حادٍّ يخترق جلد وجهها من كُلِّ الجهات، تحسُّ بنيرانٍ تحرق وجهها، دموعها امتزجتْ بدمائها لقد أَصابَتْها إغماءة، أزال حلق أذنها اليمنى بعنفٍ، فتمزَّق جلدها، وأخيرًا أفلتها من بين قبضته فسقطتْ أرضًا، فلاذ بالفرار...

لا تذكر ما حدث بعد ذلك، فتحتْ عينيها تتحسَّس وجهها بيديها، لتجد الضِّمادات تلفُّ وجهها من كُلِّ الجهات، لم تُصب بكسورٍ، فقط آلامٌ شديدةٌ على مستوى العضلات.

تنزل من السَّرير متوجِّهةً للحمَّام، رأتْ وجهها ملفوفًا بالكامل، رجعتْ لسريرها كي تغفو فقد أحسَّتْ بدوارٍ...

لقد ظلَّتْ حبيسة المشفى لشهرٍ كاملٍ، الآن حان موعد إزالة الضِّمادات بشكلٍ نهائيٍّ، يعدُّها الطَّبيب نفسيًا كي تتقبَّل وجهها، والداها بجانبها كي يكونا سندًا لها، أزيلتْ الضِّمادات أخيرًا، فقدَّم الطَّبيب المرآة بين يديها، لم تكن هناك أيُّة ردَّة فعلٍ تذكر، فعيناها شاردتان لا حياة فيهما، حضن الوالدان ابنتهما لشجاعتها والدُّموع منهمرةٌ على خدَّيهما...

إنَّها في المنزل الآن، تتناول العشاء مع والديها بهدوءٍ تامٍّ. لم تنطق بكلمةٍ واحدةٍ مذ وصولها للبيت.

صعدتْ لغرفتها، أعطتها والدتها دواءها وقبَّلتْ جبينها قائلةً: أُحِبُّكِ يا ابنتي الغالية.

تمشي بخطواتٍ حذرةٍ نحو مرآتها كي تتفقَّد ذاك الوجه، جروحٌ عميقةٌ تركتْ ندوبًا عديدةً، خدُّها الأيمن مشوَّهٌ للغاية، لقد شوِّهتْ ملامحها كلِّيًا، إنَّها مسخٌ لا شكَّ في ذلك. في قرارة نفسها لم تتقبَّل مظهرها هذا، فهناك وحشٌ ظاهرٌ على المرآة يتْبَعُ حركات رأسها ويتبع تعابير وجهها، يجب التَّخلُّص منه، فقد استحوذ على وجهها، لا بدَّ من طرده حالًا، ذهبتْ لتلقي نظرةً على صورتها الحديثة، إنَّها تلك الجميلة الشَّقراء، ذات

الحسن والجمال وجميع الفتيات يغرن منها، تمسك بالصُّورة وهي واقفةٌ أمام المرآة، ما زال ذاك الوحش المخيف القذر يستولي على وجهها، لم يرحلْ.... تحاولُ خلع جلده عنها بيدها اليسرى، لكنَّه ما زال مُثَبَّتًا على وجهها، إنَّه ملتصقٌ به، أسقطتْ الصُّورة وبيديها تندب وجهها لعلَّها تتخلَّص منه، لكنَّه لم يزُل رغم الألم الذي تتلقَّاه، أمسكتْ الكأس الحديديَّة فضربتْ به المرآة، همَّ والداها ركضًا لولوج غرفة ابنتهما الوحيدة، فصوت الارتطام كان مدوِّيًا شتَّت هيمنة الصَّمتِ على المنزل وأصحابه، في غرفتها تجزَّأ الزُّجاج لكنَّ الوجه زاد قبحًا في تلك القطع المشقوقة، أمسكتْ الشَّقراء بيدها قطعة الزُّجاج الكبيرة، تنظر لذاك الوحش المتجزِّئ لتنحر رقبتها نحرًا لتقتله، الدِّماء تنهمر والصُّراخ ينطلق من أفواه والديها قائلين: توقَّفي يا بُنَيَّتي...

يمسك الأب ابنته، واضعًا يده على الجرح كي يوقفه، لكنَّها ترتجف وتخور.... بحركاتٍ لا إراديَّةٍ، لتتوقَّف فجأةً عن الحركة ....

عيد ميلادٍ مميَّزٍ

دماءٌ متناثرةٌ من بعيدٍ، آثار احتكاكٍ على الطَّريق السُّفليّ، مجسَّمٌ مهشَّمٌ؛ إنَّها سيَّارةٌ منقلبةٌ رأسًا على عقبٍ، وما هي إلَّا لحظاتٌ قليلةٌ حتَّى تنفجر السَّيَّارة فتتطاير أجزاؤها المعدنيَّة ملتصقةً بلحمٍ بشريٍّ محترقٍ، فتتناثر الأشلاء البشريَّة متفرِّقةً في كُلِّ مكانٍ.

لقد كان في غاية الحماس منتظرًا الوقت بفارغ الصَّبر؛ إنَّه يوم عيد ميلاده المعهود، فلا بدَّ من إحياء ذكراه السَّنويَّة، فَمُذْ كان رضيعًا في سنواته الأولى يُطْفِئ كلَّ سنةٍ الشُّموع من على الكيكة الشَّهيَّة المتوَّجة برقم عمره الجديد؛ إنَّه يصعد درجاته العمريَّة فرِحًا متأمِّلًا حالمًا بمستقبلٍ واعدٍ لطالما حدَّثته عنه والدته الجميلة، المميَّزة بشعرها الأسود الحريريِّ الطَّويل وقوامها الممشوق، وابتسامتها العذبة ببريقها المعتاد تتوهَّج سعادةً، كُلَّمَا

رأت طفلها يكبر أمام عينيها يومًا بعد يومٍ فتنقُلَ عدواها لطفلها فيبتسم بأسنانه النَّاصعة البياض بكُلِّ عفويَّةٍ.

ففي كُـلِّ سنةٍ يحمله والـده عاليًـا ليُخبره بأنَّه صـار طـويلًا وكبـيرًا، فيُحَلِّـقُ بـه في الفضـاء فرِحًـا فيطـير بـه عاليًـا، فترتفـع ضحكاتهم لينتشر الحبُّ علنًا، فها هو ابنه يكبرُ ويكبرُ ويومًا ما سيصير رجلًا ليفخر به أمام الجميع.

اليوم؛ إنَّه اليوم الموعود، فقد أَتَمَّ عمرٌ سنَته السَّادسة، حلمه الوحيـد أن يـذهب لمدينـة الملاهـي ويلعـب ألعابهـا كُلَّهَـا رفقـة والديه، فلطالما تمنَّى الذَّهاب إليها كُلَّمَا تابع مشاهدة برنامج الأطفال في وقت الظَّهيرة، فيركض في أرجاء البيت مُرَدِّدًا كلمة "الملاهي".

لم يـرد الأب أن تكـون هديَّـة ابنـه كالعـادة مجـرَّد كعكـة عيـد الميلاد، فقد أراد أن تكون الهديَّة الذَّهاب إلى مدينة الملاهي – مهما كلَّف الثَّمن – فهو ضعيفٌ أمام بريق عينيْ ابنه البكر الوحيد.

لحسن حظِّه فمدينة الملاهي بعيدةٌ بكيلومتراتٍ قليلةٍ فقط، ليستْ بعيدةً كثيرًا، فوسائل المواصلات تختصر المسافات رغم طولها وتكسبُ الوقت، تَوافق يوم تدشينها يوم عيد ميلاد ابنه، فكانت الجائزة أَنَّ المدير سَيُقَدِّمُ تذاكر خاصَّةً بمولودي ذاك اليوم بالذَّات، فيا له من طفلٍ محظوظٍ.....

كعادتهم استقلَّتِ الأسرة السَّيَّارة البيضاء الصَّغيرة، إِنَّها صديقة العائلة في السَّرَّاء والضَّرَّاء، فلطالما كانت منقذتهم في جُلِّ اللَّحظات؛ توصلهم إلى كُلِّ مكانٍ دون التَّوسُّل لسيَّارات الأجرة أو انتظار حافلات النَّقل لساعاتٍ....

تفرح العائلة دومًا بركوبها، إِنَّها جزءٌ مِنَ العائلة أو رُبَّمَا أكثر من ذلك، فهم يعتبرونها فردًا من العائلة حقًّا فالكُلُّ يهتمُّ بها.

مِنْ شدَّة فرحه يهرول مسرعًا ليجلس في مقعده الخلفيِّ كالعادة ويهتزُّ فرحًا، فتربط أمُّه الحزام حول خصره وشعرها الحريريُّ شديد السَّواد يتدلَّى، فتبتسمُ فجأةً لإحساسها بمداعبة ابنها لشعرها وشمِّه له، فيهمس في أذن أمِّه بكلمةٍ رقيقةٍ دافئةٍ تثلج القلب فرحًا: أحبُّكِ يا أُمِّي، فقبَّلته قبلةً صغيرةً على رأسه لتُعلن حُبَّها له.

لقد استعدَّ الجميع الآن، لَكِنَّ الأب لم ينطلق بالسَّيَّارة بعد، فأشار لخدِّه بأصبعه مبتسمًا في خجلٍ، فقبَّلته زوجته بابتسامةٍ ونظرات إعجابٍ وحُبٍّ متبادل.

الكُلُّ مستعدٌّ الآن، الكُلُّ لحزام الأمان يضع، الكلُّ فرحٌ وسعيدٌ ينشدون أغنية عيد الميلاد لابنهم عمر الذي يصفِّق بيديه الصَّغيرتين بطفوليَّةٍ وعفويَّةٍ، لقد كانت هديَّة عيد ميلاده الذَّهاب لمدينة الملاهي الجديدة.

طوال الطَّريق ينشدون أغانٍ كثيرةً، وأناشيد الأطفال، لقد عاد الأبوان معًا لأيَّام الطُّفولة الضَّائعة التي لا تعود، فبداخل كُلِّ إنسانٍ طفلٌ صغيرٌ يحيا من جديدٍ، لقد عادتْ طفولتهما بابنهما عمر ذاك الملاك الصَّغير المفعم بالحيويَّة ذاك الطِّفل النَّابض بالحياة.

تظهر فجأةً شاحنةٌ تعرقل طريقهم لا تستقرُّ على منحىً واحدٍ، تتمايل يُمنةً ويسرةً من خلفهم، انفعل وغضب الأب فأفسح لها الطَّريق كي تتجاوزه ويتخلَّص منها، عمَّ الهدوء داخل السَّيَّارة فسكت الطِّفل الصَّغير، فقد لاحظ ردَّة فعل أبويه، فقلَّدهما.

انزاح الهمُّ من على قلب الأب فاطمأنَّ لابتعاد الشَّاحنة الضَّخمة عنه بمسافةٍ شبه بعيدةٍ، فعادوا للغناء مرَّةً أخرى، لَكِنْ سرعان ما تنقلب أصواتهم لصرخاتٍ مدوِّيةٍ، فقد انهالتْ عليهم أعمدةٌ حديديَّةٌ متطايرةٌ تصطدم بأرضيَّة الطَّريق بشكلٍ فوضويٍّ، لقد انفتح قفل الباب الخلفيّ للشَّاحنة لتتدافع حمولتها الثَّقيلة كمدافعٍ تُلقَى بتتابعٍ لتصطدم بِأَيِّ شيءٍ أمامها.....

حاول الأب تفاديها كُلَّها لَكِنَّهُ لم يستطع، فقد تجنَّب البعض منها فقط، يضغط على البوق ليلفت انتباه صاحب الشَّاحنة لما سبَّبه من فوضى لعلَّه يكترث فيتوقَّف، لكن هيهات هيهات، فسائق الشَّاحنة شابٌّ متهوّرٌ مفتول العضلات لا يأبه لشيءٍ البتَّة، فأذنيه مقفلتان تمامًا بسمَّاعات الأذن... إنَّه غائبٌ عن الوعي، إنَّه غائبٌ حاضرٌ، حاضرٌ بجسده فقط دون وعيه، كان همُّه الوحيد أن ينهي نقل حمولته بسرعةٍ كي يذهب في موعدٍ غراميٍّ في مدينة الملاهي الجديدة، فالفرصة فرصته، فعيد ميلاده اليوم كذلك، فمن الأحمق الذي سيفوّت التَّذاكر الخاصَّة المعلنة من طرف مديرها؟... فاليوم هو يومه، فهو محظوظٌ إذن.

محاولات الأب يائسةٌ، لقد توقع حدوث اصطدامٍ بأحد الأعمدة.. وهذا ما حصل بالضَّبط ...

لقد اخترق أحد الأعمدة زجاج سيَّارتهم لتخترق صدره، فيتوقَّف قلبه ليفقد بذلك التَّحكُّم في القيادة، صرخ الجميع باكيًا مستنجدًا بلا جدوى. التفتت الأمُّ لابنها تأمره بالانحناء واضعةً يديها على رأسه لتجبره على ذلك، دموعه تنهمر بغزارةٍ ويشهق بشدَّةٍ. فجأة، غاب صوت الأمِّ المطمئن، فقد طغى عليه صوت ارتطامٍ آخر لعمود حديديٍّ أصاب رأسها ليطير ساقطًا فوق الطِّفل، رفع عمر يده ليلمس شعر أُمِّه فإذا بيده تتلطَّخ بالدِّماء فيصرخ صرخةً مكتومةً، مصدومًا برؤية رأس أُمِّه مبتورًا..... وأسنانها ملطَّخةٌ بالدِّماء....

السَّيَّارة تتأرجح يمينًا ويسارًا بلا توقُّفٍ، عمر لا يستطيع التَّنفُّس، ازْرقَّ وجهه؛ لقد أصابته نوبةٌ قلبيَّةٌ من شدَّة الهلع والفزع، لقد صار جُثَّةً هامدةً مصدومةً.

انقلبت السَّيارة على ظهرها، تهشَّمتْ تحطَّمتْ، تنزلق السَّيَّارة مُحدثةً صريرًا حادًّا يُفقد السَّمع وتقشعرُّ له الأبدان، لَكِنَّ سائق الشَّاحنة أطرش، لا يسمع سوى أغاني الرَّاب

الصَّاخبة المُذهبة للعقل، يتقطَّعُ القلب قِطَعًا من هول المنظر داخل السَّيَّارة، فهناك مجزرة دمويَّة بشريَّة، فقد صارتْ أداةً لتقطيع اللَّحم البشريِّ.....ليصير بعدها متفحِّمًا بعد دويِّ صوت انفجار المحرِّك، ليلقي بتلك الأجزاء في السَّماء عاليًا ليسود الحزن والفزع في الأرجاء.

نبذة عن الكاتبة

انستغرام: salhiislame1990

إسلام صالحي مواليد 1990م بالمغرب.

خرّيجة معهد تأهيل الأطر في الميدان الصِّحي IFCSO .

حاصلةٌ على إجازةٍ في العلوم اللُّغويّة الفرنسيَّة، جامعة محمد الأول كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانيَّة بمدينـة وجـدة، بعـض الاهتمامات: كتابة الشِّعر الرَّسم والقراءة..

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المحتويات

الإهداء 6
مقدّمة.. 7
كلمة شكر 8
اللّيلة المضيئة................................ 10
صباحٌ مُظلمٌ.................................... 26
انتقام.. 32
لن تشرق شمسها أبَدًا.......................... 45
فقدان الأمل 51

تحت الأنقاض..... 58
في غرفة الإنعاش 62
ذهابٌ بلا عودة 65
الوحش 72
عيد ميلادٍ مميَّزٍ 78
نبذة عن الكاتبة..... 85

لَنْ تُشْرِقَ الشمسُ أبَدًا

سيأتي يومٌ لن تشرق فيه شمسكَ أبدًا، فهل أنت مستعدٌ للقائه؟

لَنْ تعرف متى وأين وكيف، فهل أنتَ قادرٌ على النَّجاة؟ ليالٍ طويلةٌ اغتصبتْ أحلام العديد من البشر، سلبتهم الأمل في الحياة، سرقتْ أمانيهم فتحطَّمت القلوب، ظُلمةٌ أبديَّةٌ طغتْ على بصيص الأمل، لتنطفئ شمعة الحياة للأبد.

صالحي إسلام

صالحي إسلام مواليد 1990م بالمغرب

خرِّيجة معهد تأهيل الأطر في الميدان الصِّحي IFCSO

حاصلةٌ على إجازةٍ في العلوم اللُّغويّة الفرنسيَّة، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة بمدينة وجدة،

كتابة الشّعر القصص القصيرة والخواطر، الرَّسم والمطالعة..

مؤلفات : حديث نفسٍ (الجزء الأوَّل).

دار بسمة للنشر الإلكتروني

bassmabook

00212771814934

bassmabook@gmail.com